وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد

علم اللغـــة

تأليف

الدكتور حاتم صالح الضامن
كلية الآداب / جامعة بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

عهد الي قبل سنتين تدريس علم اللغة لطلبة السنة الثالثة بقسم اللغة العربية بكلية الاداب اذ قرّر اول مرة في مناهج القسم .

وكنت القي محاضراتي على الطلبة وكلهم آذان صاغية اذ لم يسبق لهم أن وقفوا على هذا العلم. فبادروا الى نسخ هذه المحاضرات وتصويرها اذ ليس ثمة كتاب جامع مستوعب مفردات هذه المادة كما جاءت في المنهج المقرر .

وقد حاولت في هذا الكتاب ان اضع أمام طلبتنا الأعزاء ماهو ضروري من المعارف اللغوية التي ينبغي عليهم ان يبدأوا بها اذا ما أرادوا التخصص بعلم اللغة .

والقيت الضوء على اهم المؤلفات التي تناولت البحث في علم اللغة عند القدامى ،وأكثرت من ذكر دراسات المحدثين ليقف عليها الطلبة وينهلوا منها .

ولابد من الاشارة الى انني أفدت كثيراً من الدراسات الحديثة التي جاءت في مقدمة الكتاب اذ لها فضل السبق .

ولاأزعم انني اتيت بجديد ، اذ ليس لي في هذا الكتاب فضيلة أمتّ بها ولاوسيلة اتمسك بها، سوى اني جمعت فيه ماتفرق في تلك الدراسات على وفق المنهج المقرر ليسد النقص وليسهل على الطلبة استيعاب المادة المقررة.

وإني لأرجو أخيراً ان ينتفع به طلبتنا الأعزاء ...

والحمد لله اولا واخيراً .

مقدمة في الدراسات اللغوية قديماً وحديثاً

الف كثير من العلماء القدامى في علوم اللغة واتسمت مؤلفاتهم بالدقة والأستيعاب لخصائص اللغة العربية . وقد كانت هذه المؤلفات المعين الذي نهل منه المحدثون في مؤلفاتهم المختلفة في ضوء التطور الذي حدث في عصرنا هذا .

ونشير هنا الى اشهر اللغويين القدامى مرتبين ترتيباً زمنياً مع ذكر أشهر مؤلفاتهم التي وصلت الينا :

— الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ): العين.
— قطرب (تبعد ٢١٠هـ) :الأزمنة، الأضداد، الفرق .
— ابو زيد الأنصاري (ت٢١٥هـ): المطر ، اللبأ واللبن، النوادر .
— الأصمعي (ت ٢١٦هـ) : الاشتقاق، الشاء ، السلاح، الفرق ، النبات.
— ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ): الابدال ، الأضداد ، اصلاح المنطق،الحروف، المقصور والممدود .
— ابو حاتم السجستاني (ت٢٥٥هـ): المذكر والمؤنث، الاضداد،النخلة .
— ابن قتيبة (٢٧٦هـ) : أدب الكاتب .
— المبرد (٢٨٦هـ) : المذكر والمؤنث ، مااتفق لفظه واختلف معناه في القرآن المجيد
— ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) جمهرة اللغة. الاشتقاق .
— ابو حاتم الرازي (ت٣٢٢هـ): الزينة في الكلمات الاسلامية العربية .
— ابو بكر بن الأنباري (ت٣٢٨هـ): الأضداد، الزاهر، المذكر والمؤنث.
— ابو الطيب اللغوي (ت٣٥١هـ): الابدال ، الأضداد ، المثنى .
— الأزهري (ت٣٧٠هـ): تهذيب اللغة .
— ابن جني (٣٩٢هـ): الخصائص ، سر صناعة الاعراب. المذكر والمؤنث .
— الجوهري (ت٣٩٣هـ): الصحاح .

- احمد بن فارس (ت٣٩٥هـ): الصاحبي في فقه اللغة، مقاييس اللغة .
- ابو هلال العسكري (ت بعد ٣٩٥هـ) : التلخيص في معرفة اسماء الأشياء ، الفروق اللغوية، المعجم في بقية الأشياء .
- الثعالبي (ت٤٢٩هـ): فقه اللغة وسر العربية.
- ابن سيدة (ت٤٥٨هـ): المحكم ،المخصص.
- ابن السيد البطليوسي (ت٥٢١هـ): المثلث، الفرق بين الحروف الخمسة.
- الصغاني (ت٦٥٠هـ) : العباب ، الأضداد .
- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، الدرر المبثثة في الغرر المثلثة .
- السيوطي (ت ٩١١هـ): المزهر في علوم اللغة .

اما المحدثون فلهم جهود مشكورة في التأليف في علم اللغة وفقه اللغة العربية والترجمة فيها من اللغات الأجنبية المختلفة .

ولاهمية هذه الدراسات وضرورة الوقوف عليها ارتأينا ان نذكر ثبتا بها مرتبة على وفق اسماء اصحابها، ثم نذكر ثبتا اخر بأسماء الكتب المترجمة الى العربية:

- ابراهيم أنيس :

الأصوات اللغوية

دلالة الألفاظ

طرق تنمية الألفاظ في اللغة

في اللهجات العربية

اللغة بين القومية والعالمية

مستقبل اللغة العربية المشتركة

من أسرار العربية

- ابراهيم بن مراد :

دراسات في المعجم العربي

المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة العربية
المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة
— ابراهيم السامرائي :
التطور اللغوي التاريخي
التوزيع اللغوي الجغرافي
دراسات في اللغة (طبع ثانية ببيروت باسم: فقه اللغة)
العربية بين أمسها وحاضرها
العربية تواجه العصر
الفعل زمانه وابنيته
اللغة والحضارة
مباحث لغوية
مقدمة في تأريخ العربية
— ابراهيم نجا:
التجويد والأصوات
فقه اللغة العربية
اللهجات العربية
— أحمد حسين شرف الدين :
اللغة العربية في عصور ماقبل الأسلام
لهجات اليمن قديماً وحديثاً
— أحمد رضا العاملي :
مولد اللغة
— أحمد سليمان ياقوت :
الدرس الدلالي في خصائص ابن جني .
في علم اللغة التقابلي
الهاء في اللغة العربية

ـ أحمد عبدالرحمن حماد :
العلاقة بين اللغة والفكر
عوامل التطور اللغوي
ـ احمد علم الدين الجندي :
اللهجات العربية في التراث
ـ أحمد عيسى :
التهذيب في اصول التعريب
ـ احمد ماهر البقري :
اللغة والمجتمع
ـ احمد محمد الحوفي :
لغويات جديدة .
ـ أحمد مختار عمر :
البحث اللغوي عند العرب
البحث اللغوي عند الهنود
دراسة الصوت اللغوي
العربية الصحيحة
علم الدلالة
قضايا قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية
اللغة واللون
من قضايا اللغة والنحو
ـ أحمد مطلوب :
بحوث لغوية
حركة التعريب في العراق
دعوة الى تعريب العلوم في الجامعات

— احمد نصيف الجنابي :
الدراسات اللغوية والنحوية في مصر حتى القرن الرابع الهجري
ملامح من تاريخ اللغة العربية
— البير مطلق :
الحركة اللغوية في الأندلس
— اميل بديع يعقوب :
فقه اللغة العربية
المعاجم اللغوية العربية
— أمين الخولي :
مشكلات حياتنا اللغوية
— امين فاخر :
ثنائية الألفاظ في المعاجم العربية
— أمين نخلة :
الحركة اللغوية في لبنان
— انستاس الكرملي :
نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها
— أنيس فريحة :
في اللغة العربية وبعض مشكلاتها
اللهجات واسلوب دراستها
نظريات في اللغة
— البدراوي زهران :
في علم اللغة التاريخي
— تمام حسان :
الأصول
اللغة بين المعيارية والوصفية

اللغة العربية معناها ومبناها
مناهج البحث في اللغة
ـ التهامي الراجي الهاشمي :
بعض مظاهر التطور اللغوي
توطئة لدراسة علم اللغة
الثنائيات اللسانية
ـ توفيق محمد شاهين :
أصول اللغة العربية بين الثنائية والثلاثية
علم اللغة العام
عوامل تنمية اللغة
المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً
ـ جرجي زيدان :
الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية
اللغة العربية كائن حي
ـ حاتم صالح الضامن :
نظرية النظم ، تاريخ وتطور
ـ حاكم مالك لعيبي :
الترادف في اللغة
ـ حسام سعيد النعيمي :
أصوات العربية بين التحول والثبات
الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني
ـ حسن ظاظا :
الساميون ولغاتهم
كلام العرب
اللسان والانسان
ـ حسن عون :
دراسات في اللغة والنحو العربي

اللغة والنحو

- حسين نصار :

دراسات لغوية

معاجم على الموضوعات

المعجم العربي

- حفني ناصف :

مميزات لغات العرب

- حكمت كشلي :

المعجم العربي في لبنان

- حلمي خليل :

التفكير الصوتي عند الخليل

العربية وعلم اللغة البنيوي

العربية والغموض

الكلمة (دراسة لغوية)

المولد في العربية

- حنفي بن عيسى :

محاضرات في علم النفس اللغوي

- حنوز مبارك :

دروس في السيميائيات

- خليل أحمد عمايرة :

في التحليل اللغوي

- خليل العطية :

في البحث الصوتي عند العرب

- خليل يحيى نامي :

دراسات في اللغة العربية

- داود سلوم :

دراسة اللهجات العربية القديمة

- داود عبدة :

أبحاث في اللغة العربية

دراسات في علم أصوات العربية

دراسات في علم اللغة النفسي

المفردات الشائعة في اللغة العربية

نحو تعليم اللغة العربية وظيفيا

- درويش الجندي :

نظرية عبد القاهر في النظم

- ربحي كمال :

التضاد في ضوء اللغات السامية

- رشيد عبدالرحمن العبيدي

أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية

مشكلات في التأليف اللغوي في القرن الثاني الهجري

- رضا عبدالجليل الطيار :

الدراسات اللغوية في الأندلس

- رمضان عبدالتواب :

التذكير والتأنيث في اللغة

التطور اللغوي ، مظاهره وعلله وقوانينه

فصول في فقه اللغة

لحن العامة والتطور اللغوي

اللغة العبرية ، قواعد ونصوص ومقارنات باللغات السامية

المدخل الى علم اللغة

نصوص من اللغات السامية مع الشرح والتحليل والمقارنة

– رياض قاسم :
اتجاهات البحث اللغوي في العالم العربي
– ريمون طحان :
الألسنية العربية
فنون التقعيد وعلوم الألسنية
اللغة العربية وتحديات العصر
– زكريا ابراهيم
مشكلة البنية
– زين كامل الخويسكي :
الزوائد في الصيغ في اللغة العربية
– سامي سعيد الاحمد :
المدخل الى تاريخ اللغات الجزرية
– سعد مصلوح :
دراسة السمع والكلام
في العربية ولهجاتها
– سنية أحمد محمد :
النقد اللغوي في القرن الثاني الهجري .
– السيد احمد عبدالغفار :
التصور اللغوي عند الأصوليين
ظاهرة التأويل وصلتها باللغة
– السيد يعقوب بكر :
دراسات في فقه اللغة العربية
دراسات مقارنة في المعجم العربي
– شوقي النجار :
مشكلات لغوية

ــ صاحب جعفر ابو جناح :

الظواهر اللغوية في قراءة اهل الحجاز

الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري

ــ صالح سليم عبدالقادر :

الدلالة الصوتية في اللغة العربية

ــ صالح الشماع :

ارتقاء اللغة عند الطفل

ــ صالح الكشو :

مدخل في اللسانيات

ــ صبحي الصالح :

دراسات في فقه اللغة

ــ صبري ابراهيم السيد :

تشومسكي (فكرة اللغوي وآراء النقاد فيه)

ــ صبيح التميمي :

التفكير اللغوي عند العرب في العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين

ــ صلاح الدين الزعبلاوي :

مسالك القول

ــ صلاح الدين صالح حسنين :

دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن

المدخل الى علم الأصوات

ــ صلاح فضل :

نظرية البنائية في النقد الأدبي :

ــ ضاحي عبدالباقي :

لغة تميم (دراسة تاريخية وصفية)

- طه باقر :
من تراثنا اللغوي
- طه الراوي :
نظرات في اللغة والنحو
- الطيب البكوش :
التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث
- عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطىء)
لغتنا والحياة
- عادل فاخوري
علم الدلالة عند العرب
اللسانية التوليدية والتحويلية
- عاطف مدكور :
علم‌اللغة بين التراث والمعاصرة
- عباس حسن :
اللغة والنحو بين القديم والحديث
- عبدالجبار جعفر القزاز :
الدراسات اللغوية في العراق في النصف الأول من القرن العشرين
- عبد الحسين المبارك :
فقه اللغة
- عبدالحكيم راضي :
نظرية اللغة في النقد العربي
- عبدالحميد حسن :
الألفاظ اللغوية
- عبدالحميد الشلقاني :
رواية اللغة

ـ عبدالحميد محمد ابو سكين :

الاشتقاق واثره في النمو اللغوي

نظرات في دلالة الألفاظ

ـ عبدالرحمن ايوب :

أصوات اللغة

العربية ولهجاتها

الكلام انتاجه وتحليله

اللغة والتطور

محاضرات في اللغة

ـ عبدالسلام المسدي :

الاسلوبية والاسلوب

التفكير اللساني في الحضارة العربية

اللسانيات وأسسها المعرفية

اللسانيات من خلال النصوص

ـ عبدالسميع محمد أحمد :

المعاجم العربية

ـ عبدالصبور شاهين :

أثر القراءات في الأصوات والنحو العربى

دراسات لغوية

في التطور اللغوي

في علم اللغة العام

القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث

المنهج الصوتي للبنية العربية

ـ عبد العزيز شرف :

المدخل الى علم الاعلام اللغوي

ـ عبدالعزيز مطر :

دراسة صوتية في لهجة البحرين

لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة
لهجة البدو في اقليم ساحل مريوط
— عبدالعلي الودغيري :
المعجم العربي بالاندلس
— عبدالفتاح البركاوي :
محاضرات في فقه اللغة
— عبدالفتاح الزين :
قضايا لغوية في ضوء الألسنية
— عبدالقادر الفاسي الفهري :
اللسانيات واللغة العربية
— عبدالقادر المغربي :
الاشتقاق والتعريب .
— عبدالكريم خليفة :
تيسير العربية بين القديم والحديث
اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث
— عبدالكريم مجاهد :
الدلالة اللغوية عند العرب
— عبدالله امين
الاشتقاق
— عبدالله درويش :
المعاجم العربية
— عبدالله ربيع محمود :
علم الصوتيات
— عبدالله العلايلي :
مقدمة لدرس لغة العرب

ـ عبدالله عبدالعزازي :

فقه اللغة

ـ عبدالمجيد سيد احمد منصور :

علم اللغة النفسي

ـ عبدالمجيد عابدين

المدخل الى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية

من اصول اللهجات العربية في السودان .

ـ عبدالوهاب حمودة :

القراءات واللهجات

ـ عبدة الراجحي :

فقه اللغة في الكتب العربية

اللغة وعلوم المجتمع

اللهجات العربية في القراءات القرآنية

ـ عبده عبدالعزيز قلقيلة :

لغويات

ـ عثمان امين :

فلسفة اللغة العربية

في اللغة والفكر

ـ عدنان الخطيب :

المعجم العربي بين الماضي والحاضر

ـ عدنان بن ذريل :

اللغة والبلاغة

ـ عزمي اسلام :

مفهوم المعنى (دراسة تحليلية)

- علي حسين البواب :
ظاهرة الابدال اللغوي
- علي زوين :
منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث
- علي عبدالواحد وافي :
علم اللغة
فقه اللغة
اللغة والمجتمع
نشأة اللغة عند الأنسان والطفل
- علي القاسمي :
علم اللغة وصناعة المعجم
مقدمة في علم المصطلح
- عيد محمد الطيب :
اللغة العربية في مواجهة الحياة
اللهجات العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة
- غالب المطلبي :
في الأصوات العربية ، دراسة في اصوات المدّ العربية
في علم اللغة
لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة
- فؤاد حنا ترزي :
الاشتقاق
في اصول اللغة والنحو
- فؤاد زكريا
الجذور الفلسفية للبنائية

- فائز الداية :
جماليات الأسلوب (دراسة تحليلية للتركيب اللغوي)
علم الدلالة العربي
- فاروق محمد جودي :
الصهيونية واحياء اللغة في العصر الحديث
الصهيونية واللغة
- فاطمة محجوب :
دراسات في علم اللغة
- فتحي احمد عامر :
فكرة النظم بين وجوه الأعجاز
- فتحي عبدالفتاح الدجني
لغات العرب واثرها في التوجيه النحوي
- كاصد ياسر الزيدي :
فقه اللغة العربية
- كريم زكي حسام الدين :
أصول تراثية في علم اللغة
الفصائل اللغوية
المحظورات اللغوية
- كمال بدري :
مدخل الى علم اللغة العام
- كمال الحاج :
دفاعا عن اللغة العربية
فلسفة اللغة
- كمال محمد بشر :
دراسات في علم اللغة
علم اللغة العام (الأصوات)
قضايا لغوية

— لطفي عبدالبديع :
التركيب اللغوي للأدب
عبقرية العربية في رؤية الأنسان والحيوان والسماء والكواكب
فلسفة المجاز
اللغة والشعر
— لويس عوض :
مقدمة في فقه اللغة العربية
— مازن المبارك :
اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي
نحو وعي لغوي
— مازن الوعر :
نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية
— مالك المطلبي :
الزمن واللغة :
— مجد محمد الباكير البرازي :
فقه اللغة العربية
— محمد احمد ابوالفرج :
المعاجم العربية
مقدمة لدراسة فقه اللغة
— محمد الأنطاكي :
المحيط في اصوات العربية ونحوها وصرفها
الوجيز في فقه اللغة
— محمد حسن حسن جبل
أصوات اللغة العربية (دراسة نظرية وتطبيقية)
علم اللغة (تمهيد عام)

- محمد حسن عبدالعزيز :
مدخل الى علم اللغة
- محمد حسين آل ياسين :
الأضداد في اللغة
الدراسات اللغوية عند العرب الى نهاية القرن الثالث
- محمد الحناش :
البنيوية في اللسانيات
- محمد الخضر حسين :
دراسات في العربية وتاريخها
- محمد خلف الله احمد :
معالم التطور الحديث في اللغة العربية
- محمد رشاد حمزاوي :
المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية
من قضايا المعجم العربي
- محمد سالم محيسن :
المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية
- محمد سيد محمد :
الإعلام واللغة
- محمد ضاري حمادي :
الحديث النبوي الشريف واثره في الدراسات اللغوية والنحوية
حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث
- محمد عبدالحفيظ العريان :
المعاجم العربية المجنسة
- محمد عبدالصمد زعيمة :
دراسات في علم اللغة المقارن
- محمد عرفة :
مشكلات اللغة العربية

- محمد علي الخولي :
قواعد تحليلية للغة العربية
- محمد علي النجار :
لغويات
- محمد عوني عبدالرؤوف :
القافية والأصوات اللغوية
- محمد عيد :
الرواية والاستشهاد باللغة
في اللغة ودراستها
المظاهر الطارئة على الفصحى
- محمد كامل حسن :
اللغة العربية المعاصرة
- محمد مبارك :
فقه اللغة وخصائص العربية
- محمد مصطفى رضوان :
نظرات في اللغة
- محمد منصف القماطي :
الأصوات ووظائفها
- محمود السعران :
علم اللغة (مقدمة للقارىء العربي)
اللغة والمجتمع
- محمود فهمي حجازي :
علم الأصوات المقارن في اللغات السامية
علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة
علم اللغة العربية (طبع ثانية : باسم أسس علم اللغة العربية)

اللغة العربية عبر القرون
مدخل الى علم اللغة
ــ محي الدين رمضان :
في صوتيات العربية
ــ مراد كامل :
دلالة الألفاظ العربية وتطورها
ــ مرزوق بن صنيتان :
الفصحى ونظرية الفكر العامي
ــ مرمرجي الدومنكي :
معجميات عربية سامية
المعجمية العربية في ضوء الثنائية الألسنية السامية
هل العربية منطقية
ــ مسعود بوبو :
أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج
ــ مصطفى احمد النحاس :
صيغة أفعل بين النحويين واللغويين واستعمالاتها العربية
ــ مصطفى جواد :
المباحث اللغوية في العراق
ــ مصطفى فهمي :
أمراض الكلام
ــ مصطفى لطفي :
اللغة العربية في اطارها الاجتماعي
ــ مصطفى مندور :
اللغة بين العقل والمغامرة
اللغة والحضارة

- موفق الحمداني :

اللغة وعلم النفس

- ميشال زكريا :

الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)

الألسنية علم اللغة الحديث (قراءات تمهيدية)

الألسنية علم اللغة الحديث (المباديء والأعلام)

مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة

- نازلي معوض احمد :

التعريب والقومية العربية في المغرب العربي

- نايف خرما :

أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة

اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها

- نجاة الكوفي :

بناء الجملة بين منطق اللغة والنحو

- نشأة ظبيان :

حركة الاحياء اللغوي في بلاد الشام .

- نعمة رحيم العزاوي :

النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري

- نعيم علوية :

بحوث لسانية بين نحو اللسان ونحو الفكر

- نهاد الموسى :

نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث

- نوال محمد عطية :

علم النفس اللغوي

- نوري جعفر :

اللغة والفكر

ـ هادي نهر :

علم اللغة الاجتماعي عند العرب

ـ هاشم الطعان :

الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة

تأثر العربية باللغات اليمنية القديمة

مساهمة العرب في دراسات اللغات السامية

ـ ولفنسون :

تاريخ اللغات السامية

ـ وليد محمد مراد :

تطور الجهود اللغوية في علم اللغة العام

المسار الجديد في علم اللغة العام

نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية

ـ يوسف غازي :

مدخل الى الألسنية

الكتب المترجمة

ترجمت كتب كثيرة تبحث في علوم اللغة وهي مفيدة جدا للوقوف على آراء غير العرب وقد تسنى لي الوقوف على الكتب الآتية وقد رتبتها على وفق حروف الهجاء ذاكراً المؤلف ثم المترجم طلبا للتيسير :

— اسس علم اللغة :ماريوباي ، أحمد مختار عمر ، ليبيا ١٩٧٢ .
— الأسلوب والأسلوبية :كراهم هاف ، كاظم سعدالدين ، بغداد ١٩٨٥
— اصوات واشارات : كوندراتوف ، أدور يوحنا ، بغداد ١٩٧١
— اكتساب اللغة : مارك ريشل ، كمال بكداش ، بيروت ١٩٨٤ .
— الانثربولوجيا البنيوية : كلود ليفي — شتراوس ، مصطفى صالح ، دمشق ، ١٩٧٧ .
— البنى النحوية : جومسكي ، يوئيل يوسف عزيز ، بغداد ١٩٨٧ .
— البنيوية : جان بياجيه ، عارف منيمنة وبشير اوبري ، بيروت ١٩٧١ .
— البنيوية: جان ماري اوزياس واخرون، ميخائيل ابراهيم، دمشق ١٩٧٢.
— البنيوية وعلم الأشارة : ترنس هوكز ، مجيد الماشطة،بغداد ١٩٨٦ .
— تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين : جورج مونان ، بدر الدين القاسم ، دمشق ١٩٧٢ .
— التشكيل الصوتي في اللغة العربية : سلمان حسن العاني ، ياسر الملاح ، السعودية ١٩٨٣ .
— التطور النحوي في اللغة العربية : برجستراسر ، رمضان عبدالتواب ، الرياض ١٩٨٢ .
— التعريف بعلم اللغة : كريستال ، حلمي خليل ، الاسكندرية .
— التفكير واللغة : فيجوتسكو ، طلعت منصور ، القاهرة ١٩٧٦ .
— جوانب من نظرية النحو : جومسكي ، مرتضى جواد باقر ، الموصل ١٩٨٥ .

ـ دروس في علم اصوات العربية : كانتينو ، صالح القرمادي ، تونس ١٩٦٦ .
ـ دور الكلمة في اللغة : ستيفن اولمن ، كمال محمد بشر ، القاهرة ١٩٧٤
ـ السيمياء : بيارغيرو ، انطوان ابوزيد ، بيروت ١٨٩٤ .
ـ العربية : يوهان فك ، رمضان عبدالتواب ، القاهرة ١٩٨٠ .
ـ العربية الفصحى : هنري فليش ، عبدالصبور شاهين ، بيروت ١٩٦٦
ـ عصر البنيوية : أديث كريرزويل ، جابر عصفور ، بغداد ١٩٨٥
ـ علم اجتماع اللغة لوكمان،أبو بكر أحمد باقادر ، جدة ١٤٠٧ هـ.
ـ علم الأصوات : برتيل مالمبرج : عبدالصبور شاهين ، مصر ١٩٨٥ .
ـ علم الدلالة : بالمر ، مجيد الماشطة ، بغداد ١٩٨٥ .
ـ علم الدلالة : بيارغيرو ، انطوان ابوزيد ، بيروت ١٩٨٦
ـ علم الدلالة : جون لاينز ، مجيد الماشطة واخرون ، البصرة ١٩٨٠ .
ـ علم الدلالة السلوكي : جون لاينز، مجيد الماشطة ، بغداد ١٩٨٦ .
ـ علم اللغة : رولونس . ولز ، يوئيل يوسف عزيز ، بغداد ١٩٨٦ .
ـ علم اللغة الأجتماعي : هدسن ، محمود عبدالغني عياد ، بغداد ١٩٨٧ .
ـ علم اللغة العام : دي‌سوسور ، يوئيل يوسف عزيز ، بغداد ١٩٨٥ .
ـ علم اللغة في القرن العشرين: جورج مونان، نجيب غزاوي، دمشق ١٩٨٢.
ـ فقه اللغات السامية : بروكلمان ، رمضان عبدالتواب ، الرياض ١٩٧٧.
ـ في علم الأصوات الفيزيقي : بولكرام . سعد مصلوح، القاهرة ١٩٧٧.
ـ اللسان والمجتمع ، هنري لوفيفر ، مصطفى صالح ، دمشق ١٩٨٣.
ـ لغات البشر : ماريوباي ، صلاح العربي ، القاهرة ١٩٧٠ .
ـ اللغات السامية : نولدكه ، رمضان عبدالتواب ، القاهرة ١٩٦٣ .
ـ اللغة : فندريس، عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، القاهرة ١٩٥١.
ـ اللغة بين الفرد والمجتمع: جسبرسن ، عبدالرحمن أيوب، مصر ١٩٥٤.
ـ اللغة علما: كرستال وجوليوليشي وسابير ، سعيد الغانمي ،بغداد ١٩٨٦.

– اللغة في المجتمع : لويس ، تمام حسان ، القاهرة ١٩٥٩ .
– اللغة والفكر : بول شوشار ، صلاح ابوالوليد ، بيروت .
– اللغة والمعنى والسياق: جون لاينز ، عباس صادق الوهاب، بغداد ١٩٨٧.
– الماركسية وقضايا علم اللغة : ستالين ، حنا عبود ، دمشق .
– مباديء في علم الأدلة : رولان بارت ، محمد البكري ، بغداد .
– مباديء في قضايا اللسانيات المعاصرة : كاترين فوك وبيارلي ، قوفيك المنصف عاشور ، الجزائر ١٩٨٤ .
– مبادي اللسانيات العامة: اندريه مارتنيه ، أحمد الحمو ، دمشق ١٩٨٥.
– محاولة في اصل اللغات : جان جاك روسو ، عبدالسلام المسدي بغداد، ١٩٨٦ .
– مدخل الى اللسانيات: رونالد ايلوار ، بدرالدين القاسم ، دمشق ١٩٨٠.
– مفاتيح الالسنية : جورج مونان ، الطيب البكوش ، تونس ١٩٨١ .
– منهج البحث في اللغة : انطوان مايبه ، محمد مندور ، بيروت ١٩٤٦ .

علم اللغة العام General Linguistics

علم اللغة العام في أيسر تعريفاته : هو دراسة اللغة على نحو علمي.ويدرس علم اللغة الحديث بنية اللغة من الجوانب الاتية:

أولا : ـــ الاصوات Phonetics

ثانياً : ـــ بناء الكلمة (الصرف) Morphology

ثالثاً : ـــ بناء الجملة (النحو) Syntax Grammar

رابعاً : ـــ المفردات ودلالتها (علم المعنى) Semantics

ويضم علم اللغة العام كل فروع البحث اللغوي التي تزودنا بالمفاهيم الاساسية والنظريات والمناهج ، ويعنى بالبحوث التاريخية والمقارنة والبحوث اللهجية والتطبيقية.

فعلم اللغة العام هو العلم الذي يقدم لنا النظرية التي تفسر اللغة الانسانية ويقدم المناهج التي تدرسها.

وكثيراً مايكتفي الباحثون بعبارة (علم اللغة: Linguistics)

ويريدون بها :(علم اللغة العام: General Linguistics)

والاساس النظري لهذا العلم هو ان اللغة ظاهرة انسانية تستخدمها كل المجتمعات لأداء وظائف محددة وبناء هذه اللغات بتألف بشكل عام من : اصوات تنتظم في كلمات ، والكلمات تتألف منها جمل ، والبشر جميعاً يستخدمون لغاتهم في التعبير عن افكارهم ورغباتهم أو توصيلها الى الاخرين وفي قضاء ؟ الحاجات والمصالح.

وعلم اللغة العام يهدف الى وضع نظرية في اللغة، ونظراً لهذه الطبيعة النظرية اطلق علية بعض الباحثين: (علم اللغة النظري Theoretical Linguistics):

وقد فهم علم اللغة العام ، غالباً بأنه يعني علم اللغة الوصفي ، أي أنه دراسة تلاحظ وتحلل الخواص الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية للغة، وان كان العلماء اليوم يحرصون على التفريق بينهما .

ويعتمد علم اللغة العام في وضع نظرياته ومناهجه على ماتصل اليه علـوم اللغة المختلفة .

والعلوم اللغوية هي الاخرى تعتمد على نظرياته ومناهجه .

فعلم اللغة الوصفي ، كما سلف ، يهدف الى وصف اللغة المدروسة وصفاً علمياً دقيقاً وهو في سبيل ذلك يعتمد على نظرية في اللغة .

وعلم اللغة العام يستفيد من الحقائق التي ينتهي اليها علم اللغة الوصفي . وهكذا الامر بالنسبة الى علم اللغة التاريخي والمقارن.

واضافة الى ماسلف فان علم اللغة العام يهتم ببيان طبيعة العلاقات المؤثرة في حياة اللغة في المجتمعات الانسانية .

فاللغة لابد لها من جماعة تستخدمها حتى تصبح لغة .

ويهدف علم اللغة العام الى ايضاح الجوانب الحضارية المختلفة التي تؤثر في حياة اللغة، ويحاول ايضاح عوامل انتشار اللغات وموتها ، وعوامل التجديد اللغوي ، وغير ذلك من المشكلات التي نجدها في مجموعات انسانية مختلفة.

ويهتم علم اللغة العام أيضاً ببيان العلاقة بين علم اللغة والعلوم الانسانيـة الاخرى كعلم الاجتماع وعلم النفس وغيرهما.

المصطلحات الشائعة في الدراسات اللغوية

أطلق المؤلفون العرب على الاشتغال بالمفردات اللغوية جمعاً وتأليفاً عدة مصطلحات ، ويختلف العلماء أحياناً في مفاهيم هذه المصطلحات ، ولابد أن يكون الدارس على بينة منها ،ومن هذه المصطلحات :

أولا : — اللغة (Language)

وهي أقدم المصطلحات ، قيل عن ابي زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ): كان أبو زيد أحفظ الناس للغة. والمقصود هنا بكلمة اللغة : مجموع المفردات ومعرفة دلالاتها . وبهذا المعنى كانت كتب الطبقات تميز بيـــن المشتغلين بالنحو أو العربية من جانب والمشتغلين باللغة من الجانب الآخر .

لذا عدّ سيبويه (ت ١٨٠هـ) والمبرد (ت ٢٨٥هـ) من النحاة، بينما عد الأصمعي (ت ٢١٦هـ) من اللغويين .

وقد ظل استخدام كلمة اللغة بهذا المعنى عدّة قرون وأصبح (اللغوي) هو الباحث في المفردات جمعاً وتصنيفاً وتأليفاً .

فالأصمعي لغوي لأنه جمع ألفاظ البدو وسجلها في رسائل لغوية مصنفة في موضوعات دلالية .

وابن دريد (ت ٣٢١ هـ) لغوي لأنه ألف معجمه (جمهرة اللغة) ..
وقد عرّف أبن جني (١)(ت ٣٩٢هـ) اللغة بأنها: (أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم) .

وهذا التعريف على ايجازه يتضمن معظم الجوانب التي اتفق عليها المحدثون في تعريف اللغة . فهو يشير الى الوظيفة التعريبية للغة، ويفصح أيضاً عن كون اللغة اجتماعية ، أي أنها لاتوجد الا في أحضان جماعة لغوية معينة يتعاملون بها تعبيراً عن أغراضهم ، وأهم شيء في هذا التعريف هو ماقرره في أن (اللغة أصوات) . وهذا مايؤكده اللغويون المحدثون ، وفي مقدمتهم العالم اللغوي (دي سوسور) الذي يرى ان اللغة في جوهرها نظام من الرموز الصوتية أو مجموعة من الصور اللفظية تختزن في أذهان أفراد الجماعة اللغوية وتستخدم للتفاهم بين أبناء مجتمع معين ، ويتلقاها الفرد عن الجماعة التي يعيش معها عن طريق السماع .

ثانياً — :— اللهجة (Dialect)

هي اللغة عند علماء العربية القدماء فلغة تميم ولغة هذيل ولغة طيّىء التي جاءت في المعجمات العربية لايريدون بها سوى ماتعنيه كلمة (اللهجة).

كما أطلق على اللهجة لفظ (اللحن) ، قال أحد الأعراب : (ليس هذا لحني ولالحن قومي) .

---

(١) الخصائص ١/٣٣.

واللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث : مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي الى بيئة خاصة ، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة.

والصفات التي تتميز بها اللهجة تكاد تنحصر في الاصوات وطبيعتها وكيفية صدورها .

ثالثاً : — فقه اللغة (Philology)

ظهر هذا المصطلح في القرن الرابع الهجري عند أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، أذ أطلق على أحد كتبه : (الصاحبي في فقه اللغة)، وبذلك ظهر هذه المصطلح أول مرة في التراث العربي عنواناً لكتاب ولم ينتشر هذا المصطلح إذ لم نقف عليه بعد ابن فارس الا عند أبي منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ) إذ سمى أحد كتبه : (فقه اللغة وسر العربية) .

ويتفق كتابا ابن فارس والثعالبي في معالجتهما لقضايا الالفاظ العربية فموضوع فقه اللغة عندهما هو معرفة الألفاظ العربية ودلالتها وتصنيف هذه الالفاظ في موضوعات . ويضم كتاب ابن فارس الى جانب هذا مجموعة من القضايا النظرية حول اللغة ، من أبرزها (نشأة اللغة). كما تضمن كتاب الثعالبي قسماً ثانياً هو سر العربية، وتناول فيه عدداً من الموضوعات الخاصة ببناء الجملة .

وقد تخصص (فقه اللغة) في الجامعات العربية بدراسة فقه اللغة العربية.

رابعاً : — علم اللغة Linguistics

أما مصطلح (علم اللغة) الذي سلف الحديث عنه فقد استخدم عند قسم من اللغويين المتأخرين وكان المقصود منه دراسة الألفاظ مصنفة في موضوعات مع بحث دلالتها .

فالرضي (١) (ت ٦٨٦هـ) شارح الشافية والكافية لابن الحاجب (ت٦٤٦هـ) لايفرق بين اللغة وعلم التصريف ، فموضوع الأول عنده دراسة الألفاظ

(١) ينظر : شرح الشافية ١/١— ٢

وموضوع الثاني معرفة القوانين الخاصة ببنية هذه الالفاظ .

وموضوع علم اللغة عند ابي حيان النحوي (٢) (ت ٧٤٥هـ) :
هو دراسة مدلول مفردات الكلم .

وأطلق عليه كما سلف (علم اللغة العام) .

وقد دخل قسماً من الجامعات العربية حديثاً ، وتعالج فيه عادة قضايا اللغة مجردة من الارتباط بأية لغة من اللغات .

فاللغة التي يبحث فيها هذا العلم ليست هي اللغة العربية أو الانكليزية أو الالمانية ، وانما هي (اللغة في ذاتها ومن اجل ذاتها)كما يقول دي سوسور.

وهكذا نرى أن (علم اللغة)يستقي مادته من النظر في اللغات على اختلافها، وهو يحاول أن يصل الى فهم الحقائق والخصائص التي تجمع اللغات الانسانية كلها في اطار واحد.

والمتتبع لنظرة الباحثين قديماً وحديثاً الى هاتين التسميتين أعني (فقه اللغة وعلم اللغة) يجد التداخل والخلط بينهما.

---

(٢) ينظر: النكت الحسان /٣٢.

علم اللغة والعلوم الانسانية الاخرى

تشترك العلوم الانسانية في أهتمامها باللغة بوصفها أهم مظاهر السلوك الانساني ووسيلة الاتصال المكونة للجماعة الانسانية .

و ليس اللغويون هم الذين يهتمون بدراسة اللغة ، بل يشاركهم في هذا الاهتمام علماء آخرون ينتمون الى تخصصات علمية مختلفة . ومن المعروف أن هناك ظواهر لغوية لايستطيع عالم اللغة أن يسهم فيها بشيء ، وكل ما يستطيع أن يفعله ازاءها هو أن يستشير العلوم الاخرى المتخصصة ويطلب منها العون .

فدراسة اللغة من الناحية الصوتية مثلا تعود الى (علم وظائف الأعضاء Physiology) الذي يقوم بدراسة أعضاء النطق عندالانسان ، ويساعده في ذلك (علم التشريح Ahatomy) .

ويدرس (علم الفيزياء Physics) الأمواج الصوتية في الهواء فيما بين المتكلم والسامع.

هذه العلوم لايستطيع علم اللغة ان يستغني عنها، بل لابد ان يمد اليها يده يلتمس منها العون في تفسير الظاهرة اللغوية .

وثمة فروع أخرى من المعرفة النظرية يربطها بعلم اللغة رباط وثيق، منها علم الاجتماع الذي يدرس اللغة على انها من أهم مقومات المجتمع البشري ، ومنها: علم النفس الذي يدرس بصفة عامة اللغة وعلاقتها بالعقل الانساني، ومنها علم الجغرافية الذي استفاد منه اللغويون في عمل الاطالس اللغوية.

علم اللغة الاجتماعي

sociolinguistics

يمكن تعريف علم اللغة الاجتماعي بأنه دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع. ولابد أن نشير الى أن اللغة لاتحيا الا في ظل مجتمع انساني ، فاللغة اذن نشاط اجتماعي لأنها استجابة ضرورية لحاجة الاتصال بين الناس جميعاً، ولهذا السبب يتصل علم اللغة اتصالا شديداً بالعلوم الاجتماعية واصبحت قسم من بحوثه تدرس في علم الاجتماع فنشأ لذلك فرع منه يسمى بـ (علم اللغة الاجتماعي) يحاول الكشف عن العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية وأثر تلك الحياة الاجتماعية ، في الظواهر اللغوية المختلفة .

وقد تنبه اللغويون الى مثل هذه البحوث بعد أن رأوا الدراسات التي تقوم بها المدرسة الاجتماعية الفرنسية التي أنشأها (دوركايم) في أوائل القرن العشرين . وانضم اليها كثير من علماء اللغة في فرنسا وألمانيا وانجلترا وسويسرا والدانيمارك ، وكثير من أساتذة الجامعات في أوربا وأمريكا.

ومن العلماء من لم ينضم انضماماً ايجابياً الى هذه المدرسة غير أنهم تأثروا عقلية (دور كايم) وبذلك أصبحت بحوث المدرسة الاجتماعية الفرنسية أساساً للبحوث اللغوية في كثير من الاحيان ، إذ طبقت نظريات علم الاجتماع العام على اللغة ،وحاول الباحثون أن يبينوا لنا أثر المجتمع ونظمه وحضارته المختلفة في الظواهر اللغوية على اساس أن الانسان كائن اجتماعي أولا وقبل كل شيء ولذلك كانت اللغة كائناً حياً كالانسان سواء بسواء لأنها ألصق الظواهر الاجتماعية به.

قال فندريس (١) : (في أحضان المجتمع تكونت اللغة. وجدت اللغة يوم أحس الناس بالحاجة الى التفاهم فيما بينهم . وتنشأ من احتكاك بعض الاشخاص الذين يملكون أعضاء الحواس ويستعملون في علاقاتهم الوسائل

---

(١) اللغة /٣٥

رضيها الله

التي وضعتها الطبيعة تحت تصرفهم : الاشارة أذا أعوزتهم الكلمة ، والنظرة أذا لم تكف الاشارة) .

وهكذا يرى فندريس ان اللغة تنتج من الاحتكاك الاجتماعي ثم تصبح عاملا من أقوى العوامل التي تربط أفراد المجتمع الانساني .

واللغة ظاهره اجتماعية ، وهي أداة للتعبير عما يدور في المجتمع ، فهي تسجل لنا في دقة ووضوح الصور المختلفة المتعددة الوجوه لهذا المجتمع ، من حضارة ونظم وعقائد واتجاهات فكرية وثقافية وعلمية وفنية واقتصادية وغير ذلك .

واللغة نفسها تتأثر بكل هذه الظواهر الاجتماعية تأثراً كبيراً ، فهي بدوية في المجتمع البدوي غير المتحضر ، ولذلك نجدها فيه محدودة الألفاظ والتراكيب والخيال ، ليست مرنة ولاتتسع لكثير من فنون القول.

أما إذا كانت اللغة في مجتمع متحضر فاننا نجدها متحضرة الالفاظ ، مطردة القواعد ، يسيرة في نطقها ، خفيفة الوقع على السمع.

واللغة في المجتمع البدائي كثيرة المفردات فيما يتعلق بالأشياء المحسوسة والأمور الجزئية ، قليلة الألفاظ التي تدل على المعاني الكلية .

وكثيراً ماتخلو مدلولات الكلمات ، في هذا المجتمع البدائي ، من الدقة ، ويكثر فيها اللبس والابهام ، وهي غالباً لاتعبر الا عن ضرورات الحياة اليومية ، ولذلك كانت جملها قصيرة وروابطها قليلة ، ولايزال قسم من هذه اللغات البدائية يعتمد حتى الان اعتماداً كبيراً على الاشارات اليدوية والجسمية لاعطاء المعنى المقصود من الالفاظ التي ينطقونها ، الى درجة أن الاهالي يوقدون النار ليلا لكي يتمكنوا من فهم مايقال. لأن الاشارات التي تصحب الكلام تكمل الناقص من المفردات وتحدد مدلول الكلمات .

فاللغة أذن تعكس أثر التفاوت بين طبقات المجتمع . قال ماريو باي (١)

(١) لغات البشر : ٨٢– ٨٣.

(فمن المسلم به أن اللغة تتغير تبعاً للطبقة التي تتحدث بها. وقد صرح بعض هواة اللغويين في بريطانيا بأن هناك نوعين من اللغة :أحدهما وقف على الطبقة الراقية ولايمتد استعماله الى الطبقة الدنيا ، والاخر لايستخدمه الا أفراد الطبقة الدنيا ويعرض عن استعماله كل من نشأ على تقاليد كليتي أيتون وهارو).

وكثيراً مايؤدي التفاوت بين طبقات المجتمع الى نشوء لغات سرية عامية، هي بنوع خاص لغة الاشقياء والخارجين على القانون ممن يعيشون في خوف دائم من سطوته ، لأنهم يحيون حياة على هامش المجتمع.

قال فندريس (١): (وأخيراً هناك عامية الاشقياء الخاصة .. فقد كان يوجد عندنا حتى بداية القرن التاسع عشر هيأة منظمة حقاً للاشقياء،وكانت لها لغتها الخاصة المتفق عليها والتي كان يعمل كل عضو من أعضاء الهيأة على المحافظة عليها) .

ولاشك في أن التغير الاجتماعي في بيئة من البيئات يتبعه تغير في شيء من اللغة المستعملة في تلك البيئة. فثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ أدت الى تغير في النظام الاجتماعي تبعه اختفاء كلمات صاحب الجلالة،سمو الامير صاحب السعادة، باشا.. وبالمقابل شاعت ألفاظ مثل : الثورة،الاشتراكية، التقدمية ، العناصر الانتهازية وغير ذلك.

ولابد من الاشارة الى أن علم اللغة الاجتماعي من أكثر المجالات التي أحرزت تقدما سريعا في الدراسات اللغوية الحديثة ، وهويهتم بدراسة اللغة في سياقهاالاجتماعي ، ويدرس أيضاً الطرائق التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع ،والطرائق التي تتغير بها البنية اللغوية استجابة لوظائفها الاجتماعية المختلفة والتعريف بماهية هذه الوظائف .

---

(١) اللغة/ ٣١٦

ويهتم علم اللغة الاجتماعي بموضوعات كثيرة ومتنوعة ، منها : اللهجات ودراسة اللغة وأثر الجنس فيها ، ودراسة الكلام المحظور اجتماعياً كالكلمات المبتذلة التي ينفر منها المجتمع (*).

(*) ينظر : – اللغة وعلوم المجتمع : للراجحي
– اللغة والمجتمع : للسعران
– اللغة والمجتمع الوافي
– اللغة والمجتمع : للبقري
– علم اللغة الاجتماعي : لهادي نهر
– اللغة العربية في اطارها الاجتماعي : لمصطفى لطفي
ومن الكتب المترجمة :
– اللغة في المجتمع : لويس
– اللغة بين الفرد والمجتمع : جسبرسن
– علم اللغة الأجتماعي : هدسن

علم اللغة النفسي

Psycholinguisties

ترجع العلاقة بين علم اللغة وعلم النفس الى طبيعة اللغة إذ انها أحد مظاهر السلوك الانساني فإذا كان علم النفس يعنى بدراسة السلوك الانساني عموماً فان دراسة السلوك اللغوي تعد أحدجوانب الالتقاء بين علم اللغة و علم النفس وقد رأى بعض العلماء أن الدراسة اللغوية إذا لم تقم على دراسة القوى النفسية الكامنة وراءها فهي غير مكتملة وكذلك الدراسة النفسية عليها أن تستعين بمعطيات علم اللغة ، ومن ثم حدث الامتزاج بين علمي اللغة والنفس مما نتج عنه نشوء (علم اللغة النفسي) .

لقد اهتمت (المدرسة السلوكية Behariorism) بالسلوك اللغوي ،وكان لها أثر كبير في البحث اللغوي الأمريكي في النصف الأول من القرن العشرين .

ولابد من الاشارة الى أن هناك فرقاً بين بحث اللغويين وبحث علماء النفس في قضايا اللغة .

فعلم اللغة يهتم بالعبارات المنطوقة عند صدورها من الجهاز الصوتي للمتحدث وأثناء مرورها في الهواء وعند تلقي الجهاز السمعي للمخاطب لها.ومعنى هذا أن العمليات العقلية السابقة على صدور العبارات المنطوقة لاتدخل في اطار علم اللغة .

والعلاقة بين الجهاز العصبي والجهاز النطقي عند المتحدث ليست من مجالات البحث اللغوي ، فاللغويون يهتمون باللغة عند صدورها ، ولا يهتمون بالعمليات العقلية السابقة على ذلك ، فهي موضوع من موضوعات البحث في علم النفس .

وعندما تصل اللغة الى الجهاز السمعي للمتلقي ويقوم بنقلها الى الجهاز العصبي تحدث عمليات عقلية اخرى يبحثها علم النفس أيضاً.

أما تلك الظاهرة الصوتية التي تصدر عن المتحدث وتمضي في شكل موجات صوتية فتصل الى المتلقى فهي اللغة ، وهي مجال البحث في علم اللغة .

وهناك فرق أساسي بين منهج اللغويين ومنهج علماء النفس تجاه الظواهر اللغوية . فقد صرف علماء النفس جهدهم الى اكتشاف قوانين عامة تفسر السلوك الانساني ، وركزوا جهدهم على الظواهر العامة، مثل التعلم والادراك والقدرات ، ولكنهم لم يهتموا بمحتوى السلوك نفسه . ففي بحث قضية التعلم لم يهتموا بالمادة المنشودة التي تعلم ، بل كان اهتمامهم مركزاً على عملية التعلم بحسبانها عملية عقلية ، وفي السنوات الاخيرة حاول بعض الباحثين النظر الى اللغة من الجانبين ، فلم تعد الاستجابات اللغوية تدرس بحسبانها ضرباً من الاستجابات فحسب، بل البنية اللغوية في ذلك أيضاً .
ويتضح هذا من مقابلة الدراسات السابقة حول اللغة عند الطفل بالدراسات المعاصرة. فهي تبحث الموضوع نفسه بطريقة اللغويين ، أي بتحليل لغة الطفل من جوانبها الصوتية والنحوية والدلالية .

وقد أفاد علماء النفس في السنوات الأخيرة من مناهج التحليل اللغوي في بحثهم للسلوك اللغوي ، ولكن هذا لايمنع من تحديد مجال اختصاص كل من الفريقين .

فمجال الدراسة النفسية للغة هو كيفية تحويل المتحدث للاستجابة الى رموز لغوية وهذه عملية عقلية تتم عند الانسان وينتج عنها اصدار الجهاز الصوتي للغة.

وعندما تصل اللغة الى المتلقي ويقوم بفك هذه الرموز اللغوية في العقل الى المعنى المراد تتم عملية عقلية أخرى تدخل في أطار علم النفس أيضاً أما تلك الرموز الصوتيـة التي تنتقل من المتحدث عبر الهواء الى المتلقي فهي مجال البحث في علم اللغة .

ويرى قسم من اللغويين وعلماء النفس أنّ دراسة السلوك اللغوي اسهام مثمر لا لفهم اللغة فحسب بل لتكوين النظرية العامة لعلم النفس .

وقد تطورت الدراسات اللغوية والنفسية في العشرين عاماً الماضية لتجعل من جوانب اللقاء بين علم النفس وعلم اللغة فرعاً مستقلاً بذاته هو (علـــم اللغة النفسي) .

ويهتم علم اللغة النفسي بالأمور التي تتناول العلاقة بين اللغة والعقل الانساني مثل اكتساب اللغة وادراك الكلام، وطبيعة العلاقة بين اللغة والتفكير ، وعلاقة اللغة بالشخصية ، ووظيفة اللغة في حالة الصمم ، ودراسة عيوب الكلام(*)

(*) ينظر :

- دراسات في علم اللغة النفسي : لداود عبدة .
- علم النفس اللغوي: لنوال محمد عطية .
- اللغة وعلم النفس: لموفق الحمداني .
- علم اللغة النفسي : لعبد المجيد سيد أحمد منصور
- محاضرات في علم النفس اللغوي: لحنفي بن عيسى

علم اللغة والجغرافيا اللغوية

الأطلس اللغوي

عرفنا من قبل ، أن علم اللغة له صلة وثيقة بعلوم أخرى ؛ فقد درسنا من قبل شيئاً من علم الاجتماع اللغوي ، وعلم النفس اللغوي ، كما عرفنا أن عالم اللغة ، لابد له من الالمام بعلم الفسيولوجيا ، أوظائف الأعضاء ، وعلم التشريح ، وعلم الطبيعة في دراسة الأصوات اللغوية ، بأنواعها المختلفة .

ونتحدث هنا عن صلة علم اللغة ، بعلم آخر ، هو «علم الجغرافيا» ؛ فقد اقتبس علم اللغة ، منذ أكثر من نصف قرن مضى ، طرق علم الجغرافيا ليضع حدوداً لغوية للهجات المختلفة في خرائط تبين معالم كل لهجة وتفرق بين لهجة وأخرى ، ولاتختلف هذه الخرائط عن خرائط الجغرافيا ، الا في أن ما يدون عليها ظواهر لغوية ، تطلع القارىء على أدق الفروق في الأصوات والمفردات ، بين اللغات المختلفة ، واللهجات المتباينة .

وتطلعنا هذه الخرائط ، على الاختلافات الصوتية ، بين المناطق المختلفة فقوم يجهرون أصواتاً وقوم يهمسونها ، وطائفة تنطق الفتحة صريحة ، وأخرى تنطقها ممالة ، ولهجة تنبر الكلمة في مقطعها الأول ، وأخرى تنبر المقطع الأخير منها .. وهكذا . كما يبرز في هذه الخرائط الدرس الواسع للمفردات ، من حيث البنية والمترادفات المختلفة للمعنى الواحد واختلاف الألفاظ باختلاف المناطق اللغوية ، ومقدار انتشار الكلمات في الأقطار والأقاليم ، وغير ذلك ، مما يتيح لنا معرفة الواقع اللغوي للغة من اللغات ، سواء أكانت لغات فصحى أم مشتركة أم خاصة ، أم لهجات اجتماعية ، أم اقليمية ، أم عاميات خاصة .

هذه الدراسة الجغرافية اللغوية ، تعد من أحدث وسائل البحث في علم اللغة ولها وظيفة ذات أثر بالغ في الدراسات اللغوية في العصر الحديث ؛

لأنها تسجل الواقع اللغوي للغات أو اللهجات ، على خرائط يجمعها آخر الأمر أطلس لغوي عام. وتختص كل خريطة بكلمة ، أو بظاهرة صوتية معينة ، يبدو فيها الاتفاق ، أو الاختلاف بين المناطق اللغوية المتعددة ، ومما لاشك فيه أن هناك تشابهاً بين لهجة اقليمية وأخرى ، أو بين لهجتين اجتماعيتين أو بين عاميات خاصة ، مادامت هذه جميعاً ترجع الى أصل لغوي واحد.

ولقد «كان إعداد الأطالس اللغوية ، أسبق في الوجود من معظم الانجازات الوصفية الحديثة . وهو يعتمد الى حد كبير ،على مفردات اللغة التي تعد في نظر الوصفيين ،في الدرجة الثانية من الاهمية ، ولكنه مع ذلك اتبع منهجاً يمكن أن يوصف على الأقل بأنه وصفي ، وبأنه خير مثل للعمل اللغوي تحت ظروف البيئة المعينة . وعلى الرغم من أن هذا العمل قد بدأ اساساً على يد اللغويين التاريخيين ، لأغراض تاريخية في معظمها، فأنه قد وضع الأساس لنموذج الدراسة الوصفية العملية في مجال البحث اللغوي (١)» .

وعلى الرغم من تقدم هذا الفرع من فروع الدراسة اللغوية في أوربا وأمريكا ، فإنه لايزال غض الاهاب في بلادنا . وليس لدينا في لغتنا العربية الا محاولة قام بها المستشرق الألماني : «برجشتراسر» G.Bergstrasser لعمل أطلس لغوي لبلاد سوريا وفلسطين Sprachatlasvon Syrien and Palastina نشره في ليبزج سنة ١٩١٥ م.

ولاشك في أن المسح الجغرافي للهجات العربية المختلفة ، في البلاد العربية له فوائد جليلة ، أهمها :

١ــ دراسة هذه اللهجات لذاتها ، دراسة علمية عميقة ، لاكتشاف مافيها من خصائص الصوت والدلالة والتركيب ، ولمعرفة التغييرات المختلفة التي تطرأ عليها من وقت لاخر.

---

(١) انظر : أسس علم اللغة لماريوباي ١٣١

٢ــ اثراء الدراسات في العربية الفصحى نفسها ، إذ يتيح لنا ذلك المسح الجغرافي ، كتابة تاريخ هذه اللغة ، في عصورها المختلفة ، ويمدنا بوسائل علمية لمعرفة أقرب اللهجات العربية ، صلة باللغة الفصحى ، وأبعدها عنها.

٣ــ يمدنا هذا المسح الجغرافي بالمعلومات اللازمة ، لمعرفة مدى امتداد اللهجات العربية القديمة ، في الوطن العربي ، ويفسر لنا النصوص المبتورة عن هذه اللهجات ، في تراثنا العربي .

٤ــ يتيح لنا هذا العمل ، فرص الدراسة المقارنة ، لابين اللهجات واللغة الفصحى فحسب ،ولكن بين اللغات السامية المختلفة كذلك ؛ويقفنا على مصادر الكلمات الأجنبية هنا وهناك .

وقد أبان الأستاذ « شْتَيْجَر » Steiger العالم اللغوي السويسري ، الذي له بهذا الموضوع عناية خاصة ، عن قيمة الأطلس اللغوي ، وأهميته للغة العربية ، بقوله في تقرير له: «وبالنسبة للغة العربية ،نقول إن القيام بعمل أطلس لغوي لها ، سيحدث ثورة في كل الدراسات الخاصة بفقه اللغات السامية ؛لأنه سيكمل من غير شك ، الدراسات التي تعتمد على النصوص القديمة، بكشفه عن التطورات المتعلقة باللهجات ، وباللغات الشعبية العصرية وسيكون لهذا الأطلس الفضل في اطلاعنا على تاريخ الأصوات ، والتغيرات التي أصابت اللغة العربية ،في الاماكن المختلفة التي غزتها ،وعن مدى انتشارها وتأثرها بالمراكز الثقافية ، وتنوع مفرداتها الى غير ذلك من المكتشفات ، التي لايمكن أن تتم الا إذا جمعت هذه المواد . انه سيكون عملا ثقافياً من الطراز الأول، وسيكون تحقيقه عنوان مجد وفخار في تاريخ الثقافة العالمية (١)».

(١ـ٢) الأطلس اللغوي لخليل عساكر : ٣٧٩ـ ٣٨٠

ولاتنطوي دراسة اللهجات على فوائد لغوية فحسب،بل أنها تفيد المؤرخين وعلماء النفس والاجتماع ، على حد سواء ؛ ويمكن لذلك أن يستعان بالأطالس اللغوية ، على هذه الدراسات التاريخية ، والنفسية والاجتماعية على أساس أمتن وأشمل. وفي هذا يقول «يود» Jud وهو أستاذ سويسري متخصص في اللغات الرومانية وهي : الفرنسية والإسبانية والايطالية : «من المستحيل أن يكتب تاريخ صحيح للشعب الفرنسي أو الايطالي أو الاسباني ، الا إذا عرفت اللغات المحلية في تلك البلاد ، ودرست دراسة عميقة .تلك حقيقة خطيرة ،أصبحت مقررة معروفة (٢)»(*).

(*) المدخل الى علم اللغة لرمضان عبد التواب: ١٤٧ — ١٥٠

علم الاصوات

Phonetics

هو دراسة أصوات اللغة ، فهو اذن فرع من علم اللغة العام ،ولكنه فرع يختلف عن الفروع الاخرى ، إذ هو لايعنى الا باللغة المنطوقة ،دون أشكال الاتصال الأخرى المنظمة ، كاللغة المكتوبة مثلا . والصوت الانساني الحي هو موضوع علم الاصوات .

فعلم الاصوات لايهتم الا بالتعبير اللغوي ، دون المضمون الذي يقوم تحليله على القواعد والمعجم ،أي الجانب النحوي ، والدلالي للغة .

والصوت ظاهرة طبيعية ندرك أثرها دون ان ندرك كنهها فقد أثبت علماء الصوت بتجارب لايتطرق اليها الشك أن كل صوت مسموع يستلزم وجود جسم يهتز ،على أن تلك الهزات لاتدرك بالعين في بعض الحالات ، كما أثبتوا أن هزات مصدر الصوت تنتقل في وسط غازي أو سائل أو صلب حتى تصل الى الأذن الانسانية .

والهواء هو الوسط الذي تنتقل خلاله الهزات في معظم الحالات . فخلاله تنتقل الهزات من مصدر الصوت في شكل موجات حتى تصل الى الأذن.

وتتوقف شدة الصوت أو ارتفاعه على بعد الأذن من مصدر الصوت ، فعلى قدر قرب الاذن من ذلك المصدر يكون وضوح الصوت وشدته ،كما تتوقف شدة الصوت على سعة الاهتزازة، وهي المسافة المحصورة بين الوضع الأصلي للجسم المهتز وهو في حالة السكون وأقصى نقطة يصل اليها الجسم في هذه الاهتزازة. فعلى قدر اتساع هذه المسافة يكون علو الصوت ووضوحه ويساعد على شدة الصوت أو علوه اتصال مصدره بأجسام رنانة ، ولهذا شدت الاوتار الموسيقية على ألواح أو صناديق رنانة ليقوى الصوت ويتضح. أما درجة الصوت فهي المقياس الموسيقي الذي يدركه من له المام بفن الموسيقى.

ودرجة الصوت كما برهن علماء الصوت تتوقف على عدد الاهتزازات في الثانية ، فاذا زادت الاهتزازات أو الذبذبات على عدد خاص ازداد الصوت حدة ، وبذا تختلف درجته. وعدد الاهتزازات في الثانية يسمى في الاصطلاح الصوتي التردد. فالصوت العميق عدد اهتزازاته في الثانية أقل من الصوت الحاد .

أما نوع الصوت فهو تلك الصفة الخاصة التي تميز صوتاً من صوت وان اتحدا في الدرجة والشدة . وهكذا نستطيع أن نميز صوت الكمنجة من صوت العود رغم احتمال اتحادهما في الدرجة والشدة . وتلك هي الصفة التي تميز صوتاً انسانياً من صوت آخر . وكثير من الناس يستطيعون من التمييز بين أصوات أصدقائهم في التلفون بمجرد نطقهم ببضع كلمات.

والصوت الانساني ككل الاصوات ينشأ من ذبذبات مصدرها في الغالب الحنجرة لدى الانسان. فعند اندفاع النفس من الرئتين يمر بالحنجرة فيحدث تلك الاهتزازات التي بعد صدورها من الفم أو الانف تنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل الاذن . ولكن الصوت الانساني معقد إذ يتركب من أنواع مختلفة في الشدة ومن درجات صوتية متباينة، كما أن لكل انسان صفة صوتية خاصة تميز صوته من صوت غيره من الناس فليس صوت الانسان في أثناء حديثه ذا شدة واحدة أو درجة واحدة ، بل هو متعدد الشدة والدرجة، وهو مع هذا ذو صفة خاصة تميزه من غيره من أصوات الناس. فالانسان حين يتكلم تتغير درجات صوته عند كل مقطع تقريباً .

ومصدر الصوت الانساني في معظم الأحيان هو الحنجرة أو بعبارة أدق الوتران الصوتيان فيها . فاهتزازات هذين الوترين هي التي تنطلق من الفم أو الأنف ثم تنتقل خلال الهواء الخارجي.

وتتوقف درجة صوت المرء على سنه وجنسه . فالاطفال والنساء أحد أصواتاً من الرجال. وذلك لان الوترين الصوتيين في الأطفال والنساء أقصر

وأقل ضخامة . ويؤدي هذا الى زيادة في سرعتهما وعدد ذبذباتهما في الثانية . والطفل حين يصل الى البلوغ يتضخم وتراه الصوتيان فجأة كما يطولان ؛ ويترتب على هذا عمق في صوته يجعله أقرب الى الرجال منه الى النساء .لأن عدد ذبذبات الوترين الطويلين الضخمين أقل كثيراً. وضخام الاجسام من الناس هم عادة عميقو الأصوات ، وصوت الرجل عرضة للتغير في درجته بين الخمسين والستين من عمره.

وقد مثل ابن جني (ت٣٩٢هـ) عملية اصدار الأصوات تمثيلا رائعاً قال(١):

(شبه بعضهم الحلق والفم بالناي ، فان الصوت يخرج فيه مستطيلا أملس ساذجاً، كما يجري الصوت في الألف غفلا بغير صنعة. فاذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة ، وراوح بين عمله ، اختلفت الاصوات، وسمع لكل خرق منها صوت لايشبه صاحبه . فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الاصوات المختلفة .

ونظير ذلك أيضاً وتر العود ، فان حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه أدى صوتاً آخر، فان أدناها قليلا سمعت غير الاثنين . ثم كذلك كلما أدنى أصبعه من أول الوتر تشكلت لك أصداء مختلفة ،الا أن الصوت الذي يؤديه الوتر غفلا غير محصور تجده بالاضافة الى ماآداه وهو مضغوط محصور أملس مهتزا، ويختلف ذلك بقدر قوة الوتر وصلابته، وضعفه ورخاوته، فالوتر في هذا التمثيل كالحلق، والخفقة بالمضراب عليه كأول الصوت من اقصى الحلق ،وجريان الصوت فيه غفلا غير محصور كجريان الصوت في الألف الساكنة وما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع كالذي يعرض للصوت في مخارج الحروف من المقاطع واختلاف الاصوات هناك كأختلافهما هنا) .

(١) سر صناعة الأعراب: ٨- ٩ .

الجهاز النطقي

إذا نظرنا إلى هذا الجهاز النطقي ، نجد أنه يتكون من أجزاء ثابتة ، وأخرى متحركة ، فالأجزاء الثابتة فيه هي الأسنان العليا واللثة ، والغار وهو الجزء الصلب من سقف الحنك ومن الأجزاء الثابتة كذلك: الجدار الخلفي للحلق، وما عدا ذلك من أجزاء الجهاز النطقي فمتحرك .

وسنشرح فيما يلي كل جزء من أجزاء هذا الجهاز ، مع بيان أثره في إحداث الصوت .

أما الشفتان :

فتتحركان بحرية في كل اتجاه، وتتخذان أوضاعاً مختلفة عند نطق الأصوات ، ومن الممكن ملاحظة هذه الأوضاع ، في يسر وسهولة ؛ إذ يمكن أن تنطبق الشفتان ،فلا تسمحان للهواء بالخروج مدة من الزمن ،ثم تنفرجان ،فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً ،كما في نطق الباء .وقد تستدير الشفتان ،كما يحدث عند نطق الضمة مثلا. كما يمكن أيضاً أن تنفرجا كما في نطق الفتحة ،الى غير ذلك من الأوضاع والحركات .

وتختلف عادات البشر في استغلال حركة الشفتين ،والانتفاع بها؛ فمن الشعوب من تتميز عادات النطق لديهم بكثرة الحركة في الشفتين ومنهم من يقتصد في ذلك.

واما الأسنان :

فمن أعضاء النطق الثابتة في الجهاز النطقي ولاسيما العليا منها ، ولاتستغل في النطق الا بمساعدة أحد الأعضاء المتحركة كاللسان والشفة السفلى.

واما سقف الحنك:

فهو الذي يتصل به اللسان ، في أوضاعه المختلفة في الفم ، ومع كل وضع من أوضاع اللسان ،بالنسبة لجزء من أجزاء الحنك الأعلى ، تتكون مخارج كثير من الأصوات.

وينقسم سقف الحنك الى أربعة أقسام ؛ الأول : هو اللثة ، أو أصول الأسنان العليا. والثاني : هو الغار ، وهو الجزء الصلب من سقف الحنك وهو محدّب ومحزّز .والثالث :هو الطبق ،وهو الجزء الرخو من سقف الحنك ،وهو متحرك .والرابع :هو اللهاة ،وهي جزء متحرك كذلك .

واما اللسان :

فإنه أهم عضو في عملية النطق، وهو يحتوي على عدد كبير من العضلات التي تمكنه من التحرك ،والامتداد ،والانكماش ،والتلوّي الى أعلى أو الى الخلف. وهذه السهولة في التحرك، مكنت اللسان من الاتصال بأية نقطة من الفم ، فنتج من تحركاته المختلفة عدد كبير من الإمكانات الصوتية في الجهاز النطقي ، ولاغرابة بعد هذا اذا كان اسمه يرادف كلمة «اللغة» عند كثير من الشعوب .وفي القرآن الكريم يقول الله تعالى : (بلسان عربي مبين).

واما الحلق :

فإنه الجزء الذي بين الحنجرة واقصى الحنك، وهو عبارة عن تجويف في الخلف من اللسان، يحد به أماما، وبما يسمى الحائط الخلفي للحلق من الخلف .وهذا الحائط الخلفي، ليس إلاّ عظام العنق، مغطاة بما يكسوها من اللحم .

وفي مقدمة الحلق، متعلقاً على جذر اللسان ، مايسمى بلسان المزمار وهو قطعة من اللحم ،لاتتحرك ذاتياً ،ولكن تتحرك بحركة اللسان، وتؤدي وظيفة صمام القصبة الهوائية، بسدها لئلا يؤذيها الطعام النازل الى المرئ، من خلفها .ويبدو انه لادخل للسان المزمار فيعملية النطق .

واما الحنجرة :

فإنها تقع في قمة القصبة الهوائية، وهي عبارة عن حجرة متسعة نوعاً ما ومكونة من ثلاثة غضاريف، الأول او العلوي منها ناقص الاستدارة من الخلف، عريض بارز من الأمام،ويعرف الجزء البارز منه بتفاحة آدم ،اما الغضروف الثاني فهو كامل الاستدارة . والثالث مكون من قطعتين موضوعتين فوق الغضروف الثاني من الخلف.

وفي الحنجرة توجد الأوتار الصوتية .وهي في الواقع وتران اثنان، عبارة عن غشاءين كل واحد منهمانصف دائرة حين يمتد، فإذا امتد الوتران أغلقا

فتحة الحنجرة ، ومنعا الهواء الرئوي من المرور. وعلى ذلك فهما من اعضاء النطق المتحركة ،ولهما القدرة على اتخاذ اوضاع متعددة ، تؤثر في الأصوات الكلامية. وهذه الأوضاع ثلاثة ، هي : وضع الارتخاء التام ووضع الذبذبة، ووضع الامتداد وقفل مجرى الهواء تماماً.

اما الوضع الأول: فهو وضع التنفس العادي. واما الوضع الثاني: فهو الذي ينتج نوعاً معيناً من الأصوات،يسمى بالأصوات المجهورة ، وسنتحدث عنها فيما بعد. واما الوضع الثالث فهو الوضع الذي ينتج صوت الهمزة في اللغة العربية مثلا .

وأخيراً فإن الرئتين مخزن للهواء، تتحركان تمدداً وانكماشاً، بحسب حركة الحجاب الحاجز الموجود تحت الرئتين ،اسفل الصدر .

ولايفوتنا هنا ان نشير الى انه يمكن قفل المجرى الانفي مما يلي الحلق، برفع الطبق ولصقه بالحائط الخلفي للحلق. ويمكن فتحه كذلك بإنزال الطبق في اتجاه مؤخرة اللسان

وقد استخدمت العربية الفصحى، عشرة مخارج في الجهاز النطقي، هي بالترتيب:

١ــ الشفة. ويسمّى الصوت الخارج منها شفوياً .
٢ــ الشفة مع الأسنان. ويسمّى الصوت الخارج منهما شفوياً أسنانياً.
٣ــ الأسنان. ويسمّى الصوت الخارج منها اسنانياً
٤ــ الأسنان مع اللثة. ويسمّى الصوت الخارج منهما اسنانياً لثوياً.
٥ــ اللثة. ويسمّى الصوت الخارج منها لثوياً .
٦ــ الغار. ويسمّى الصوت الخارج منه غارياً.
٧ــ الطبق. ويسمّى الصوت الخارج منه طبقياً.
٨ــ اللهاة. ويسمّى الصوت الخارج منها لهوياً .
٩ــ الحلق. ويسمّى الصوت الخارج منه حلقياً .

١٠ ــ الحنجرة. ويسمّى الصوت الخارج منها حنجرياً .

تلك هي مخارج الأصوات في العربية الفصحى، كما تدل عليها تجارب معامل الأصوات في وقتنا الحاضر . واللسان عامل مشترك في أكثر هذه المخارج؛ اذ يخرج طرفه بين الأسنان، او يوضع عند الأسنان واللثة، أو عند اللثة وحدها، او عند الغار، او ترتفع مؤخرته عند الطبق اواللهاة؛ فليكن ذلك مفهوماً لدينا، وان لم ننسب مخرجاً من المخارج اليه.

وبيننا وبين قدامى اللغويين من العرب، خلا ف في عدد المخارج للاصوات العربية، وفي تحديد مخارج بعض الأصوات ؛ فعندنا الان أن :

١ ــ الأصوات الشفوية هي : ب م و.
٢ ــ والشفوية الأسنانية هي : ف.
٣ــ والأسنانية هي: ذ ظ ث.
٤ ــ والأسنانية اللثوية هي: د ض ت ط ز س ص .
٥ــ واللثوية هي : ل ر ن .
٦ ــ والغارية هي : ش ج ي .
٧ــ والطبقية هي : ك غ خ .
٨ــ واللهوية هي : ق .
٩ــ والحلقية: هي : ع ح .
١٠ ــ والحنجرية هي : الهمزة والهاء .

هذا هو رأي المحدثين من علماء الأصوات، في مخارج اصوات العربية الفصحى ، مؤسساً على نتائج التجارب الصوتية في المعامل وغيرها .

أما الخليل بن أحمد ، فجعل المخـارج ثمانية . يختلف موقع الأصوات العربية، في بعضها عما عندنا الان. كما انه لم ينسب الياء والواو والألـف والهمزة الى مخرج معين ، وسماها هوائية ؛ فقال : « فالعين والحـاء والهاء والخاء والغين حلقية؛ لأن مبدأها من الحلق.والقاف والكاف لهويتان

لأن مبدأهما اللهاة ، والجيم والشين والضاد شجرية: لأن مبدأها من شجر الفم أي مفرج الفم . والصاد والسين والراي اسلية : لأن مبدأها من أسلسة اللسان، وهي مستدق طرف اللسان.والطاء والتاء والدال نطعية؛ لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى. والظاء والذال والثاء لثوية؛ لأن مبدأها من اللثة. والراء واللام والنون ذلقية؛ لأن مبدأها من ذلق اللسان وهو تحديد طرفيه كذلق السنان. والفاء والباء والميم شفوية، وقال مرة: شفهية؛ لأن مبدأها من الشفة. والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد؛ لأنها هاوية في الهواء لايتعلق بها شيء (١)» .

واما سيبويه فإنه يعد المخارج ستة عشر مخرجاً ويسود كلامه الغموض وعدم الوضوح في كثير من الأحيان ؛ حيث يقول : « وحروف العربية ستة عشر مخرجاً. فللحلق منها ثلاثة: (١) فأقصاها مخرجاً الهمزة والهاء والألف(يقصد بذلك الف المد).(٢)ومن اوسط الحلق مخرج العين والحاء.(٣) وأدناها مخرجاً من الفم الغين والخاء. (٤) ومن أقصى اللسان ومافوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف . (٥) ومن اسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف . (٦) ومن وسط اللسان، بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء. (٧) ومن بين أول حافة اللسان ومايليه من الأضراس مخرج الضاد . (٨) ومن حافة اللسان من أدناها الى منتهى طرف اللسان مابينها وبين مايليها من الحنك الأعلى ومافوق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام . (٩) ومن طرف اللسان بينه وبين مافويق الثنايا مخرج النون .(١٠) ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا،لانحرافه الى اللام، مخرج الراء .(١١) ومما بين طرف اللسان واصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء .(١٢) ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد .(١٣) ومما بين طرف اللسان

(١) العين للخليل بن أحمد ٦٥/١ (طبعة عبد الله درويش)

واطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء . (١٤) ومن باطن الشفة السفلى واطراف الثنايا العليا مخرج الفاء . (١٥) ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو. (١٦) ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة (١) » . (٥)

---

(١) كتاب سيبويه ٢/٤٠٥.

(٥) المدخل الى علم اللغة: لرمضان عبد التواب : ٢٤- ٣٢.

وينظر في علم الأصوات والجهاز النطقي :

- الأصوات العربية: لابراهيم أنيس
- دراسة الصوت اللغوي: لأحمد مختار عمر
- علم اللغة العام (الأصوات) : لكمال بشر
- اصوات اللغة: لعبد الرحمن أيوب
- علم الصوتيات: لعبد الله ربيع محمود وعبد العزيز أحمد علام
- دراسات في علم أصوات العربية: لداود عبدة
- المدخل الى علم الأصوات: لصلاح الدين صالح حسنين
- في صوتيات العربية: لمحيي الدين رمضان
- في البحث الصوتي عند العرب: لخليل العطية
- اصوات اللغة العربية: لمحمد حسن حسن جبل
- الأصوات ووظائفها: لمحمد منصف القماطي
- الدلالة الصوتية في اللغة العربية: لصالح سليم عبد القادر
- المنهج الصوتي للبنية العربية: لعبد الصبور شاهين
- دروس في علم أصوات العربية: لكانتينو
- علم الأصوات : لبرتيل مالمبرج

بناء الكلمة

Morphology

الكلمة: هي المادة الأساسية التي يبحثها علم الصرف وهي في الحقيقة اهم الوحدات اللغوية لأنها تشكل اهم مستوى للوحدات الدلالية.

تتكون كل لغة من اللغات من عدد محدود من الوحدات الصوتية . وتعبر اللغة بهذا العدد المحدود من الوحدات الصوتية عن الجوانب المتنوعة من الحياة والفكر . والبنية اللغوية لاتتكون من الوحدات الصوتية مفردة . بل تتألف اللغة من الوحدات الصوتية مركبة في جذور وفي ابنية مختلفة، فالصوامت (ك. ت. ب) يمكن ان تتخذ عدة ترتيبات، وهي: (ك ت ب. ك ب ت. ب ت ك، ت ك ب، ب ك ت، ت ب ك) .

وقد أفادت اللغة العربية من عدد من هذه الترتيبات المتاحة. وعندما بحث الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) أصوات اللغة العربية . وحدد المواد اللغوية الممكنة نظرياً. لاحظ ان كثيراً منها ليس له استخدام في الواقع اللغوي العربي فأطلق عليه مصطلح (المهمل) ، اما المواد اللغوية الموجودة فعلا فقد أطلق عليها مصطلح (المستعمل) .

ان المادة اللغوية الواحدة. مثل (ك ت ب) ليس لها وجود مباشر . فليست هناك كلمة واحدة في العربية تتألف من هذه الصوامت وحدها من غير اضافات .

فالفعل(كتب) يتكون من تتابع الكاف والفتحة والتاء والفتحة والباء والفتحة. وبقية كلمات هذه المادة تتكون باضافات الى صوامتها وهذه الاضافات تكون في مواقع مختلفة من الكلمة .كأن تكون في الأول وتسمى (الدواخل) اوفي الاخر وتسمى (اللواحق). وقد تتكون ابنية صرفية بأكثر من اضافة. كما نجد في كلمتي: مكتوب وكتابة.

ومجال البحث في الصرف اوبناء الكلمة هو دراسة الوسائل التي تتخذها كل لغة من اللغات لتكوين الكلمات من الوحدات الصرفية المتاحة في تلك اللغة .

أولا :ـ الوحدات الصرفية:

المصطلح الأساسي في التحليل الصرفي الحديث هو مصطلح (المورفيم) اي الوحدة الصرفية . وهناك تعريفات كثيرة للمورفيم عند مدارس البحث اللغوي الحديث.وهي تتفق في ان المورفيم اصغر وحدة في بنية الكلمة تحمل معنى أو وظيفة نحوية في بنية الكلمة.

والمورفيمات على انواع :

١ــ مورفيمات تتألف من صوت واحد فقط،مثل الضمة القصيرة في قولنا: (جاء أحمد). والتي تدل على المقولة النحوية التي نسميها الاسناد. وهو اسناد المجيء الى أحمد . ومنه الضمة الطويلة المعبرة عن الأسناد اذا كان المسند اليه واحداً من الأسماء الخمسة. مثل: (جاء ابوك) ، و(ابوك مسافر). ومنه الكسرة الدالة على التبعية في قولك: (كتاب زيد). ومنه النون الساكنة التي نسميها تنويناً. والتي تدل على التنكير كما في قولك: (جاء رجل) . ومنه التاء في قولنا : (جاءت) التي تدل على وقوع الحدث من المفردة المؤنثة الغائبة.

٢ــ مورفيمات تتألف من مقطع واحد منها:

من :
عن :
في :
أو : وتدل هذه المورفيمات على مقولات نحوية كثيرة (تنظر في كتب
ما : النحو)
لم :
لا :

٣ـ مورفيمات تتألف من عدة مقاطع : منها الهمزة والسين والتاء الدالة على الصيرورة نحو: استحجر الطين ، اوعلى الطلب نحو: استغفر العبد ربه.

ومنها الهمزة والتاء الدالتان على المطاوعة نحو : اجتمع القوم . ومثله كل الأفعال الناقصة: كان- صار- اصبح.. الخ فهي ليست. فيواقعها غير أدوات او مورفيمات تدخل على الجمل لتدل على معان نحوية مختلفة. فقولنا (زيد مسافر) ثم قولنا (كان زيد مسافراً) لايختلفان الا في الزمن الذي جرته (كان) الى الماضي في العبارة الثانية.

اما الذي حمل النحاة القدماء على عدها افعالا فهو أنهم رأوهنا تتصرف كما تتصرف الأفعال. لكن التصرف هنا لايعنينا. وان الذي يعنينا هو الوظيفة التي يقوم بها اللفظ في العبارة. واذا كانت الأفعال الناقصة لاتعبر الا عن مقولات نحوية فهي اذن مورفيمات كسائر المورفيمات الأخرى .

وسماها النحاة العرب (افعال العبارة) لأنها افعال غير حقيقية . اي هي افعال لفظية لاحقيقية (١).

ثانياً: انواع الوحدات الصرفية:

هناك عدة اتجاهات في تصنيف الوحدات الصرفية. منها التصنيف الشكلي الى وحدات صرفية حرة ووحدات صرفية مقيدة . والفرق بينهما ان الوحدات الصرفية الحرة يمكن ان توجد مستقلة اي منفصلة على عكس الوحدات الصرفية المقيدة التي لاتوجد الامرتبطة اي متصلة. ومثال هذا في العربية الضمائر. فيها المنفصل وفيها المتصل .

ويمكن ان نجد في الكلمة الواحدة وحدات صرفية حرة ومقيدة،فكلمة

(١) اسرار العربية ١٣٣، منثور الفوائد ٢٥، شرح المفصل ٨٩/٧

(مصريون ، مصريين) تتكون من وحدة صرفية حرة هي (مصر) ووحدة صرفية مقيدة مكونة من الكسرة والياء المشددة. ولها وظيفة نحوية وهي النسب. ثم تأتي بعد ذلك وحدة مقيدة أخرى هي الضمة الطويلة في(مصريون) والكسرة الطويلة في (مصريين). ولكل وحدة صرفية منهما وظيفة اعرابية، وبعد هذا كله تنتهي الكلمتان بوحدة صرفية مقيدة تشير الى كون الكلمة غير مضافة .

ومن هذا كله نخرج بأن في الكلمتين المذكورتين وحدة صرفية حرة واحدة. وعدة وحدات صرفية مقيدة. لها وظائف النسب، والجمع المرفوع والجمع المنصوب والمجرور ، وحالة عدم الأضافة .

وتقسيم سلاسل كلامية مختلفة ومتنوعة في اللغة العربية من شأنه ان يعطينا بقية الوحدات الصرفية في العربية وتوزيعها . اي مواضع استخدامها من الجانب الآخر . فالوحدات الصرفية في كل لغة من اللغات تتخذ مواقع خاصة بها. فلا تأتي وحدة الا في مكانها الذي تحدده لها بنية اللغة.

ثالثاً: الأنماط الصرفية:

من الحقائق التي ابرزها علم اللغة الحديث ان لكل لغة ولكل لهجة نمطها الخاص بها. وتختلف اللغات في بنية مفرداتها وقابليتها للتغير الداخلي والتغير الإعرابي اختلافاً بيناً. كل لغة وكل لهجة تعرف الكلمات لكن انماط هذه الكلمات تختلف من لغة لاخرى ومن لهجة لأخرى . وهنا يهتم علم اللغة الحديث بدراسة الأنماط التي تتخذها كل لغة لمفرداتها من غير أن ينظر اليها بمعيار الحسن او القبح، بل يحدد او يحاول تحديد وسائل بناء الكلمة في كل لغة هادفاً الى تقرير الحقائق من غير قدح او مدح . واذا كان بعضهم قد لاحظ وجود التغير الاعرابي في العربية الفصحى وعدم وجود أكثر ظواهره في اللهجات العربية وعد وجود التغير الأعرابي فضلا يجعل للفصحى مكانة فوق اللهجات فالواقع ان مستويات الاستخدام اللغوي لاتقتصد

مكانتها من البنية بل من استخدامها ومكانة المتعاملين بها ومستويات التعامل بها ومجالات استخدامها، ولادخل في هذا لوجود الاعراب او عدم وجوده، فلا فضل لأسم على فعل، ولالفعل على اسم، ولا لاعراب على بناء ولالبناء على اعراب، وكل هذه تصنيفات عرفتها العربية وخلت منها لغات كثيرة، فلكل لغة نمطها الخاص في بناء المفردات ووسائل تصنيفها .

ففي اللغة العربية مثلا نلاحظ وجود وحدات صرفية تدل على التعريف والتنكير، فاذا قلنا: (الولد) ثم قلنا : (ولدٌ) كنا قد دللنا على التعريف بـ (ال) وعلى التنكير بنون التنوين . ويتصور بعضهم ان تصنيف الأسماء الى نكـرة ومعرفة يعكس قسمة عقلية وحكمة سماوية لاتستقيم امور اللغة بغيرها . وفي هذا نظر. فهناك لغات لاتعرف تمييزاً بين نكرة ومعرفة. كاللغة التركية مثلا، وقد يظن احدهم ان تكون للتعريف اداة واحدة هي مثلا: (ال) في العربية و (the) في الانكليزية، ولكننا نجد في اللغة الالمانية وحدات متعددة تدل على التعريف او على التنكير.

وتختلف اللغات في التغير الأعرابي ايجاباً وسلباً فهناك لغات كثيرة تفرق بين ثلاث حالات مثل العربية. وقد اطلق النحاة على هذه الحالات الثلاث اسم المرفوع والمنصوب والمجرور، وهناك لغات تفوق بين أربع حالات اعرابية مثل الألمانية. وقد اطلق النحاة على هذه الحالات اسماء مختلفة تقابل فـي العربية الرفع والنصب والجر والاضافة .

رابعاً : **التغيرات الصرفية الصوتية :**

يطلق مصطلح التغيرات الصرفية الصوتية على التغيرات التي تطرأ على البنية الصرفية لاعتبارات صوتية. ولعل فكرة تحويل المقطع المغرق فـي الطول الى مقطع طويل توضح لنا في العربية طبيعة هذه التغيرات بتكون المقطع المغرق في الطول من (صامت + حركة طويلة + صامت) وهذا الضرب من المقاطع نادر في العربية الفصحى وتميل اللغة العربية الى هجر

كلما اوتيت الى ذلك سبيلا ،ومن هذا الجانب تختلف العربية الفصحى عن اللهجات العربية التي تعرف المقطع المغرق في الطول على نحو أكثر شيوعاً. فثمة من يقول آمراً : بِيع ، فالفصحى : بع ، ويقول: عيش، والفصحى: عش. فالفرق بين الصيغة العامية والصيغة الفصحى هنا ان الصيغة العامية تتكون من مقطع مغرق في الطول. بينما تتكون الصيغة الفصيحة من مقطع طويل.

وتميل اللغة الفصحى الى هجر المقاطع المغرقة في الطول والتي كان يمكن ان توجد قياساً، يتضح هذا ايضاً من صيغة الفعل المضارع الأجوف في حالة الجزم فالفعل (يكتب) بالضمة في الرفع و(يكتب) بالفتحة في النصب ، و(يكتب) من غير حركة نهائية في الجزم. وقياساً على هذا (يعيش) بالضمة في الرفع (ويعيش) بالفتحة في النصب . والصيغة القياسية المفترضة في حالة الجزم، (يعيش) من غير حركة نهائية، وهي صيغة لاتوجد الا في العامية. أما الصيغة الفصيحة فتتكون بتغير داخل الفعل يتم بتحويل المقطع المغرق في الطول الى مقطع طويل، وهكذا تحولت : (يعيش) الى (يعش) .

واذا طبقنا القانون نفسه وجدناه مفسراً لأبنية أخرى في العربية . فالفرق بين صيغة المفرد المذكر (كتب) وصيغة المفرد المؤنث (كتبت) هو التاء أضيفت الى صيغة المذكر لتكون صيغة المؤنث. والأفعال سعى، دعا، رمى تنتهي بحركة طويلة هي الفتحة الطويلة. فلو اضفنا الى هذا المقطع الطويل المفتوح تاء التأنيث لأصبح هذا المقطع مغرقاً في الطول . وهذا ماتجتنبه الفصحى بأن حولت هذا المقطع المغرق في الطول الى مقطع طويل وبذلك ظهرت الصيغة المعروفة: سعت دعت ، رمت.

وبها تفسر فكرة المقاطع وانواعها جوانب من التغير في بنية الكلمة العربية وهي تغيرات صوتية صرفية (*).

(*) مدخل الى علم اللغة لمحمود فهمي حجازي: ٥٥- ٦٤

بناء الجملة

لابد ان نشير الى الفرق بين بناء الكلمة وبناء الجملة فبناء الكلمة ــ كما سلف ــ يعنى بوسائل تكوين الكلمات من الوحدات الصوتية المختلفة وبناء الجملة يدرس كيفية تكوين الجمل من الكلمات المختلفة. فعندما نقابل مثلا بين الجمل الاتية:

قام محمدٌ/ قام الفتى/ قامت سلوى / قامت هندُ/ قام هانز .

نلاحظ ان الأسم التالي للفعل (قام) في نفس الموقع في الجملة وهو كما يقول النحاة فاعل الجملة، فهو من هذه الناحية في موضع بعينه ليؤدي وظيفة بعينها في الجملة هي الفاعلية، ولكنا نلاحظ اختلافاً بينا في النهايات الاعرابية لهذه الأسماء.

ففي (قام محمد) نجد الفاعل بضمة وتنوين، وفي (قام الفتى) نجد الفاعل بغير ضمة وبغير تنوين ،وكذلك الأمر في كلمة (سلوى). أما (هندُ) رغم كونها لعلم مؤنث مثل (سلوى) فتنتهي هنا بضمة من غير تنوين. وامــا (هانز) فهو علم أجنبي ولاينتهي هنا بضمة فما الذي احدث هذا التباين في هذه النهايات ؟

ان الاختلاف في النهايات الاعرابية يفسر بمحورين : المحور الأول: بناء الكلمة . والمحور الثاني : الموقع في بناء الجملة.

واذا كنا قد لاحظنا ان الموقع في الأمثلة المذكورة لم يتغير فلاشك ان التغير هنا يفسر ببناء الكلمة ،وهذا صحيح . فكلمة (الفتى) وكلمة (سلوى) من المقصور ، وهذا النوع من الأسماء يلزم حالة واحدة فلا تتغير نهايته الاعرابية في الرفع اوفي النصب او في الجر: نقول: جاء الفتى،رأيت الفتى، سلمت على الفتى . فعدم التغير هنا يرجع الى البنية الصرفية اي بنية الكلمة . أما كلمة (هند) فادرجها النحاة بين مايطلق عليه: الممنوع من الصرف ،

والصرف من التنوين اي ان هذه الكلمة تدخل في ذلك النوع من الأسماء التي لاتنون ومن ثم كانت في التركيب المذكور بضمة من غير تنوين.اما (مانز) فهو كما تعلم اسم لعلم اجنبي وهذا الاسم شائع في المانيا والبلاد المحيطة بها، وعندما يستخدم هذا الاسم في قراءة الأخبار او في التقارير العلمية المدونة بالعربية لايفكر احد في الحاق ضمة او فتحة او كسرة به، ولو فعل قارىء هذا لضحك منه مستمعوه،وهكذا نلاحظ ان هذا الاسم يلزم حالة واحدة لاتتغير ولاتظهر فيها علامة اعراب . فالعامل الحاسم في الاختلاف في النهايات بين كلمات في نفس الموقع النحوي لايمكن الا في البنية الصرفية أي في بنية الكلمة.

ولكي نستطيع ابراز الفرق بين مجال بناء الكلمة وبناء الجملة نورد مثالا آخر: فعندما نقول: جاء محمدٌ/ رأيت محمداً/ سلمت على محمدٍ نلاحظ اختلافاً في النهايات الاعرابية. فاذا اتفقنا على جعل دراسة امكانية التغير في النهايات من بناء الكلمة خرجنا مثلامن دراسة البنية الصرفية لكلمة(محمد) انها تظهر في ثلاثة اشكال مختلفة:

محمدٌ/ محمداً/ محمدٍ. وهنا نسأل ماالذي يحدد استخدام هذه الكلمة بهذه النهاية دون تلك. وهنا يأتي أثر بناء الجملة. فنقول مثلا ان هذا الاسم في : جاء محمدٌ ،ورد مرفوعاً ويؤدي وظيفة الفاعلية. وفي رأيت محمداً جاء منصوباً لأنه مفعول به، واما في : سلمت على محمدٍ ،فهو تال لحرف جر فجاء مجروراً

فتحديد الوظائف المختلفة في الجملة والتغيرات المصاحبة لها من مجال دراسة بناء الجملة.

أولا: الجملة بين النحاة والبلاغيين:

ان البحث اللغوي الحديث يفيد من كل الجهود العلمية السابقة ويتجاوزها نحو مزيد من الدقة والتفسير .فللنحاة جهد مشكور في دراسة بناء الجملة .

ويكفي ان ننظر في كتاب سيبويه وهو اقدم مؤلف وصل الينا في النحو العربي لنجد دراسات قيمة في بناء الجملة العربية .

ولكن أهم فرق يميز البحث الحديث في بناء الجملة عن البحث العربي يكمن في ان الجهد العربي دار حول محور نظرية «العامل» بينما يضع البحث الحديث هدفه دراسة التركيب الشكلي لعناصر الجملة وسيلة للتعبير عن «معنى» ومن ثم يعد المعنى عنصراً مهما في دراسة بناء الجملة. ونوضح هذا بالنظر في بحث النحاة للفعل المضارع بعد «حتى» فقد لاحظوا انه فعل منصوب، نقول مثلا: حتى أدخل، أوحتى أخرج أو: حتى نعمل... الخ وهنا يمكن ان نقول على نحو وصفي مباشر ان هذا التركيب يتكون من « حتى + فعل مضارع منصوب» ولكن النحاة طرحوا بعد ذلك السؤال التقليدي عن العامل في كون هذا الفعل المضارع منصوباً. ورب قائل يقول: العامل هو كلمة: « حتى » فيرفض أكثر النحاة مقررين خطأ هذه المقولة ويعلل النحاة هذا برأيهم في «العامل» فالعامل عندهم لايعمل الا مختصاً فللافعال عواملها وللاسماء عواملها، وليس ثمة عوامل تعمل في الأفعال والأسماء، وهنا يتساءل النحاة: هل « حتى» من عوامل الأسماء او من عوامل الأفعال فيقول أكثرهم انها من عوامل الأسماء فهي تجر الاسم مثل: (حتى مطلع الفجر) واذا كانت كذلك فلا بد من كونها مختصة بالأسماء اي انها لاتؤثر الا في الأسماء ولابد ان يكون مابعدها اسما. وهنا يقول أكثر النحاة: ان التركيب « حتى + فعل مضارع منصوب» ينبغي ان يفسر تقديراً لشيء لاوجود له في التركيب استدعته النهاية وهذا مايتحفظ علم اللغة الحديث في القول به. فهو يعنى بالتركيب الموجود فعلا واصفاً له محدداً وظيفته اما التساؤل حول «العامل» وتخصيصه وتقديره وماشاكل ذلك فيتجاوز النطاق الذي رسمه علم اللغة الحديث مجالا لبحثه . ان علم اللغة الحديث يدرس التركيب واصفاً له محللا له في اللغة الواحدة او مقارناً اياه في المجموعة اللغوية، وهنا نقول

ان تعميق البحث يتم بأدوات تختلف عن الجدل المنطقي في نظرية العامل والاختصاص .

ولنوضح طبيعة جدل النحاة في موضع العامل بمثال آخر، فقد لاحظوا ورود الفعل المضارع منصوباً بعد : كي، لكي، كي لا، لكي لا، كي ما .وكان من الممكن الاكتفاء في وصف هذا بمعادلات بسيطة على غرار : «كي + فعل مضارع منصوب» ولكنهم طرحوا السؤال حول العامل، والعامل لابد ان يكون واحداً ولايجوز ان يتعدد، فقام النحاة بعملية تحليلية معقدة، ففي الاية (لكي لايكون على المؤمنين حرج) حالوا « لكي» فجعلوا اللام حرف جر وجعلوا كي والفعل بعدها مصدراً مجروراً باللام. ان مثل هذه الظواهر يبحثها علم اللغة الحديث بأسلوب معادلات تشبه المعادلات الرياضية بتساؤل دائم حول الوظيفة والمعنى والغرض وفعالية التركيب في التعبير عن معنى .

هذا وقد أدى اختلاف نظرة اللغويين المحدثين للجملة عنها عند النحاة العرب الى مباحث لم تنل حقها من الاهتمام في كتب النحو التقليدية ، فالشرط مثلا ، أو بمعنى أدق « جملة الشرط» عرفها النحاة لا كأسلوب قائم برأسه متنوع الأنماط مختلف الدلالات بل تناولوها ضمن مباحث « جزم المضارع » فاقتصروا في بحثهم لها على بحث العامل، فإذا كان التركيب : (ان تكتبْ أكتبْ) دار بحثهم حول العامل في ذلك الجزم الذي حل بالفعل الأول وبالفعل الثاني، واختلفوا في هذا اختلافاً جزئياً لايخرج عن هذا الإطار، ولكن أهذا كل مايمكن ان يبحث في جملة الشرط العربية ؟ هناك جمل شرط لا علاقة لها بالمضارع ولا علاقة لها بالجزم. فما مكانها في نظرية العامل التي دارحولها البحث في بناء الجملة عند النحاة العرب؟ فنحن نقول: « ان كتبت كتبت»، فلا نستخدم فعلا مضارعاً بل فعلين ماضيين وجملة كهذه لامكان لها بين أنماط جملة الشرط في كتب النحو العربي لا لأن هذا التركيب حديث

في العربية بل لأن النظرة الى جملة الشرط في تكاملها في البنية والدلالة نظرة حديثة معمقة ،وقد سجل اللغويون المحدثون أنماطاً مختلفة من جملة الشرط العربية،وبعض هذه الأنماط لم يكن موضع اهتمام النحاة العرب، وذلك مثل: (إنْ + جملة فعلية ذات فعل ماض + جملة فعلية ذات فعل ماض) نحو. (ان قاتلونا قاتلناهم) او: (إنْ + جملة فعلية ذات فعل ماض + لم + جملة فعلية ذات فعل مضارع). مثل« ان افترقتم لم تجتمعوا بعدها أبداً»

ويزداد الأمر تنوعاً اذا لاحظنا الأزمنة المركبة واستخدامها في جملة الشرط وذلك مثل: (ان كنت أصبت في..فقد أخطأت في ..) اما الشرط باستخدام «اذا» و« لو» فلم يدرس عند النحاة العرب كأسلوب قائم برأسه بتركيبه وعلاقاته ودلالاته بحثاً مفصلا وكان حسبهم هنا ضروباً من التقدير ففي الجملة (اذا السماء انشقت) قدروا لاعتبارات نظرية بحتة فعلا بين اذا والفاعل وانصرف اهتمامهم الى الاعراب والعامل وتقديره وعمله.

ومن الأخطاء الشائعة عن اللغة العربية انها لاتعرف مقابلا لما يطلق عليه في اللغات الأوربية اسم الأزمنة المركبة، والواقع ان النحاة العرب لم يدرسوا هذه الظاهرة رغم وجودها في اشكال مختلفة في اللغة العربية ونحن اليوم نفرق بين (كتبت) (وكنت كتبت) (وكنت قد كتبت) لكل تركيب معناه الخاص به .

والأهتمام بالمعنى يؤدي الى المباحث التي عرفت عند القدماء باسم «علم المعاني» اي: معاني النحو. ويكفي أن ننظر فيها لنجد فصولا في بناء الجملة فهم يفرقون مثلا بين الخبر والطلب تفريقاً بارعاً ولو طبقنا هذا لاتضح لنا مدى خطأ رأي النحاة في تقدير فعل عامل في المنادى. فقد قدروا في تركيب مثل: (ياكبير القضاة) (أنادي كبير القضاة) ورغم كل المحاولات النظرية لتفسير هذا فالثابت ان التركيبين مختلفان أساساً فالأول طلبي والثاني خبري

كما يقول البلاغيون فجهود البلاغيين العرب لها مكانها وتقديرها في دراسة الجملة العربية وهي المكمل الطبيعي لجهود النحاة في هذا الميدان .

ولننظر مثلا في دراسة البلاغيين لصيغ الأمر في اللغة العربية.نجد عندهم الأمر (اكتب،اكتبي، اكتبا، اكتبوا ،اكتبن) والأمر بالمضارع المقرون بلام الأمر (لتكتب. لتكتبي .... الخ). واسم فعل الأمر (حذار،صه) والمصدر الغائب عن فعل الأمر نحو (وبالوالدين احساناً) . فدراسة البلاغيين لهـذه الإمكانيات التعبيرية للامر في العربية اسهام طيب لإدراك الوسائل المختلفة التي يعبر بها عن الأمر في العربية وشبيه بهذا مافعله البلاغيون في دراسة الاستفهام واساليبه المختلفة ، فهناك استفهام بهل وبالهمزة وباستخدام من وما ومتى وكيف واين... الخ .ودراسة تكوين الجملة الاستفهامية بأدواتها وعلاقاتها ومعناها مما يدخل في علم اللغة الحديث في دراسة بناء الجملة. وقديماً شغل كثير من النحاة بالنهاية الاعرابية واخذ عليهم البلاغيون عدم الاهتمام بالمعنى فتمزق الشكل والمضمون فهل لنا ان نأخذ بهما مجتمعين ؟

لقد درست كتب النحو الاستثناء. مركزة البحث على العامل في المستثنى وكأن النهاية الاعرابية جوهر الأمر فأكمل البلاغيون هذا الجهد بمحاولـة طيبة لدراسة القصر فهناك تراكيب مختلفة للقصر في العربية منها(لا..إلا)، و(لم .. إلا)، و(لن .. إلا) و(انما ...) الخ . شغل النحاة هنا بالنهاية الاعرابية لما بعد أداة الاستثناء فاصلين بين أداة النفي المقدمة و أداة الاستثناء التي جاءت بعدها،والأسهل ان يدرس التركيب كأسلوب قصـر ذي أداة مركبة على نحو مانجد عند البلاغيين وعند اللغويين المحدثين وعلى نحو مانجده في لغات أخرى كالانجليزية not .. but أو الفرنسية ne .. que

وصفوة القول: ان الدراسة الحديثة في بناء الجملة تهتم بترتيب الوحدات الصرفية في الجملة وتراعي الاعراب وتغيره للتعبير عن المعاني المختلفة وهذا مما بحث قديماً بين علمي النحو والبلاغة.

ثانياً : المنهج التوليدي التحويلي وبناء الجملة:

اتجه اللغويون منذ سنة ١٩٥٧ بصورة متزايدة الى بحث بناء الجملة فقد كانت موضوعات الأصوات وبناء الكلمة قد نالت نصيباً كبيراً من الاهتمام على مدى مائة عام،ولوحظت الثغرات في دراسة بناء الجملة فانصرف لغويون كثيرون الى بناء الجملة .وارتبط هذا بالنزوع الى الإفادة من الأجهزة الألكترونية في البحث اللغوي لتحقيق مزيد من الدقة والموضوعية. وهنا ظهر النحو التحويلي التوليديgenerative transformalional grammar والفكرة الأساسية في النحو التحويلي التوليدي ان الوصف الدقيق للغة من اللغات انما يعني تحديد الإمكانيات التعبيرية الكامنة في هذه اللغة والتي ينتقي منها ويتوسل بها مستخدم اللغة ايجاباً وسلباً فوصف الاستخدام اللغوي عند فرد بعينه ليس تحديداً لطاقات اللغة .بل وصف للقدرة اللغوية لهذا الفرد،ومن هنا تتجاوز فكرة النحو التحويلي التوليدي مجرد الوصف الى محاولة تحديد « مجموع الامكانيات التعبيرية » في اللغة قيد الدراسة وهذه الإمكانيات كامنة عند مستخدم اللغة حتى انه يستطيع بالمختزن لديه منها أن يفهم جملا وتعبيرات لم يسبق له ان سمعها أو قرأها .

وهذا هو معنى كون هذا الاتجاه « توليديا» اي انه يبحث امكانات توليد الجمل الجديدة اعتماداً على إمكانات اللغة .

ويوصف هذا المنهج أيضاً بأنه « تحويلي» والتحويل هنا وسيلة من وسائل التعرف على طبيعة العلاقات بين الوحدات التي نعرفها باسم الكلمات. ولننظر مثلا الى التركيب المكون من:« الاسم + الضمير». لنجد العلاقات الكامنة بين هذا الاسم وذلك الضمير متنوعة ولنقارن بين اشياء تبدو من ناحية الشكل متضمنة لعلاقة واحدة مثل : (كتابي ، أبي ، وطني ، قميصي، دوري،سفري) فهذه تعبر عن علاقات مختلفة وليس من الصحيح أن نقول: انها علاقة الملكية،ولكي نوضح تنوع هذه العلاقات نحاول نقل كل تعبير منها

مبدلين اياه بتعبير مفسر للعلاقة ،وسنجد تفسير العلاقة متماوتاً متنوعاً،فكلمة كتابي تعني الكتاب الذي الفته أو الكتاب الذي أملكه.وهنا نجد علاقتين تختلفان عن العلاقة الكامنة في الاسم في: « أبي» فالأب هو الانسان الكبير الذي انتمى اليه انتماء بيولوجياً مباشراً والعلاقة هنا مختلفة عن العلاقتين الكامنتين بين الاسم والضمير في : « معطفي» فهو المعطف الذي أملكه او ارتديه لو كان المتكلم ممثلا يقوم بدور معين،وهذه العلاقات مختلفة بدورها عن «بلدي» «فالعلاقة هنا علاقة انتماء مواطن الى وطن صغير أو كبير،وكل هذا مختلف عن العلاقة بين الأسم والضمير في «سفري» اي السفر الذي قمت او اقوم به،وهنا نلاحظ ان كل هذه الأشياء متفقة شكلا مختلفة في الدلالة على العلاقات .

فلو كنا بصدد تصميم جهاز للترجمة الآلية لكان على اللغوي ان يزوده بالأشكال الصرفية المتاحة وبالعلاقات القائمة بينها في اللغة المترجم منها واللغة المترجم اليها حتى يمكن للجهاز اختيار التعبير المقابل وهنا نتبين أن أشياء كثيرة تبدو بسيطة ولكنها في حقيقة الأمر متنوعة تحتاج لأبراز هذا التنوع الى ايضاحها بمنهج التحويل حتى يتسنى لنا فهم العلاقات الكامنة بينها .

وهناك أشياء كثيرة لاحظها النحاة ويفيد منها الباحث الحديث بالمنهج التحويلي اذا اراد تحديد العلاقات ،وقد تحدث النحاة العرب موضحين علاقتين كامنين في تركيب مثل «قتل زيد » فقد يكون زيد هو القاتل وقد يكون هو المقتول ويعتبر النحاة قد يكون هذا من قبيل اضافة المصدر الى فاعله او الى مفعوله،وتستطيع بالمنهج التحويلي ادراك الفرق بينهما بأن نجرب احلال الفعل محل المصدر ،نجد ان «قَتلُ زيدٍ » تقابل: قتل زيد (بفتح القاف) او قتل زيد(بضم القاف) اي ان هذا المصدر يقابل الفعل المبني للمعلوم أو المبني للمجهول، وهذا مايفسر كون هذا التركيب في العربية حاملا لإمكانيتين

اثنتين في التعبير، وعلى العكس من هذا نجد العلاقة الكامنة بين المصدر والمضاف اليه في « وصول علي» ذا دلالة واحدة، وهذا يرجع كما يقول اللغويون الى كون مقابل هذا المنهج التحويلي فعلا لازماً. ونستطيع كذلك بالمنهج التحويلي أيضاً ادراك الفرق بين المفعول به الأول والمفعول به الثاني في الجملة العربية، ففي الجملة «اعطيت التلميذ كتاباً» يتضح الفرق الوظيفي بنقل هذه الجملة الى المبني للمجهول، « اعطي التلميذ كتاباً» «واعطي كتاب الى التلميذ» والمفعول الأول قابل عند التحويل لحرف الجر ولكن المفعول الثاني غير قابل لحرف الجر .

وأخيراً نود ان نقول بأن اصحاب المنهج التحويلي قدموا لنا وسيلةنستطيع بها ابراز اختلافات كامنة في علاقات للوحدات الصرفية داخل الجملة، والسنوات القادمة كفيلة بأبراز مدى جدوى ذلك في برامج الترجمة الآلية ومدى القصور في ذلك (*).

(*) مدخل الى علم اللغة لمحمود فهمي حجازي: ٦٥– ٧٣

علم الدلالة

Semantics

علم الدلالة: فرع من فروع علم اللغة وهو دراسة معنى الأنماط، والمعنى اللغوي هو العلاقة التي تتحقق باتحاد عنصري العلاقة اللغوية أي الدال والمدلول حيث يوجد بينهما تلاحم وثيق وقد شبههما دي سوسير بورقة ذات وجهين. أحدهما هو الدال والاخر هو المدلول، فلايمكن تمزيق أحد الوجهين دون تمزيق الاخر. أي: لايمكن فصل الدال عن المدلول أوالعكس.

ان الموضوع الأساسي لعلم الدلالة هو المعنى، ولاينكر أحد قيمة المعنى بالنسبة الى اللغة، حتى قال بعضهم: انه بغير المعنى لايمكن ان تكون هناك لغة. وعرف بعضهم اللغة بأنها: معنى موضوع في صوت .

وتعد قضية الدلالة من اقدم قضايا الفكر. اسهم فيها فلاسفة ومناطقة واصوليون ولغويون وبلاغيون من العرب وغيرهم .

وقبل ان نتحدث عن علم الدلالة في العصر الحديث نشير الى ان الدراسات الدلالية أغفلت جهود العرب القدامى فلم تأت على ذكرهم في سلسلة تطور الاهتمام الدلالي القديم .

إن البحث في دلالات الألفاظ من أهم مالفت اللغويين العرب وأثار اهتمامهم. وتعد الأعمال اللغوية المبكرة عند العرب من مباحث علم الدلالة وسنأتي على ذكرها .

فمن اهتمامات اللغويين :

١ ـ محاولة ابن جني ربط تقلبات المادة الممكنة بمعنى واحد كقوله : (واما ك ل م فهذه أيضاً حالها. وذلك انها حيث تقلبت فمعناها الدلالة على القوة والشدة. والمستعمل منها أصول خمسة وهي : ك ل م، ك م ل، ل ك م، م ك ل، م ل ك واهملت منه: ل م ك فلم تأت في ثبت(١).

(١) الخصائص : ١٣/١.

٢ــ محاولة ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) الرائدة في معجمه (مقاييس اللغــة) ربط المعاني الجزئية للمادة بمعنى عام يجمعها .

٣ــ محاولة الزمخشري(ت ٥٣٨هـ) الناجحة في معجمه (اساس البلاغة) التفرقة بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية.

٤ــ البحوث الدلالية الكثيرة في الكتب الاتية :

الخصائص لابن جني والصاحبي في فقه اللغة ومقاييس اللغة لابن فارس والمزهر للسيوطي ..

ومن اهتمامات الأصوليين وعلماء الكلام والفلاسفة المسلمين :

١ــ عقد الأصوليون ابواباً للدلالات في كتبهم تناولت : دلالة اللفــظ، دلالة المنطوق ،دلالة المفهوم ،الاشتراك ،الترادف،العموم والخصوص

٢ــ ثمة دراسات واشارات كثيرة الى المعنى في مؤلفات الفارابي وابــن سينا وابن رشد والغزالي وغيرهم. قال ابن سينا (ت ٤٢٧هـ) (١) :
(ومعنى دلالة اللفظ ان يكون اذا ارتسم في الخيال مسموع اسم ارتسم في النفس معنى،فتعرف النفس ان هذا المسموع لهذا المفهوم فكلما أورده الحس على النفس التفتت الى معناه) .

وقال الغزالي (ت ٥٠٥هـ) (٢):

(اعلم ان المراتب فيما نقصده أربع واللفظ في الرتبة الثالثة فأن للشيء وجوداً في الأعيان ثم في الأذهان ،ثم في الألفاظ،ثم في الكتابة . فالكتابة دالة على اللفظ واللفظ دال على المعنى الذي في النفس والذي في النفس هو مثال الموجود في الأعيان) .

---

(١) الشفاء (العبارة): ٤.

(٢) معيار العلم: ٧٥.

وقال السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) :(١)

(الدلالة: هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص، واشارة النص، ودلالة النص، واقتضاء النص) .

ومن اهتمامات البلاغيين :

دراسة الحقيقة والمجاز. ودراسة كثير من الأساليب ، ونظرية النظم لعبد القاهر ...

* * * * * *

اما في العصر الحديث فقد ظهر مصطلح (علم الدلالة) اول مرة في سنة ١٨٨٣ في بحث اللغوي الفرنسي بريال اهتم فيه بدلالات الكلمات في لغات الفصيلة الهندية الأوربية. وقد شاع هذا المصطلح باسم السيمانتيك . ليعبر عن فرع من علم اللغة العام يُعنى بدراسة المعنى هو (علم الدلالات) ليقابل (علم الصوتيات) الذي يعنى بدراسة الأصوات اللغوية .

أولا: المجالات الدلالية :

يعد التحليل الدلالي لبنية اللغة اساساً ضرورياً لكل الدراسات التأريخية والمقارنة والتقابلية لدلالة الكلمة. لذا كان من الضروري البحث عن منهج يتيح تحديد الدلالة في المستوى اللغوي الواحد على أدق نحو ممكن .

وقد عرف علم اللغة الحديث عدة محاولات لوضع منهج يفيد في التحليل الدلالي الوصفي .

---

(١) التعريفات ٩٣.
وينظر : الكليات ٣٢١/٢
كشافات اصطلاحات الفنون ٢٨٤/٢

واهم هذه المحاولات هي نظرية المجالات الدلالية التي بدأها مجموعة من العلماء في سويسرا وألمانيا في النصف الأول من القرن العشرين . منهم ايسبن (١٩٢٤) وترير (١٩٣٤) .

وتقوم هذه النظرية على اساس جمع كلمات اللغة ووضعها في مجموعات تختص كل مجموعة منها بمجال من مجالات الخبرة الانسانية وترتبط فيه معاني الكلمات فتوضع تحت مصطلح عام يجمع بينها. فالمجال الدلالي كما عرفه أولمان: (هو قطاع متكامل من المادة اللغوية يعبر عن مجال معين من الخبرة) (١).

ومثال ذلك كلمات الألوان في اللغة العربية. فهي تقع تحت المصطلح العام (لون) وتضم ألفاظاً مثل : اسود،أبيض ، أحمر ، أخضر ، أزرق أصفر .... الخ .

ومن اشهر هذه المحاولات التصنيف الذي قام به فارتبورج عام ١٩٥٢ وقسم فيه الكلمات الى ثلاثة اقسام رئيسة هي :

١ـ المفردات التي تشير الى الكون: السماء والغلاف الجوي ، الأرض ، النبات ، الحيوان .

٢ـ المفردات التي تشير الى الانسان : جسم الانسان، الفكر والعقل، الحياة الأجتماعية.

٣ـ المفردات التي تشير الى علاقة الانسان بالكون: ويدخل في هذا ايضاً كل مايتعلق بالعلم والصناعة .

وهذه النظرية تقدم شرحاً وتفسيراً لمعاني الكلمات أجدى مما لو ؟ درست هذه الكلمات كوحدات منعزلة عن مجالاتها ، فدلالة الكلمة نسبية لاتتحدد الا في ضوء علاقاتها بالكلمات الأخرى في المجموعة الدلالية التي تنتمي اليها .

---

(١) علم الدلالة لأحمد مختار عمر : ٧٩

ان معنى الكلمة كما يقول لاينز هو: (محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في داخل الحقل المعجمي). اي: ان الكلمة لاتتحدد قيمتها الدلالية في نفسها، وانما تتحدد بالنسبة الى موقعها الدلالي داخل المجال الدلالي المعين.

ان هذه النظرية تجعل المبدعين في اللغة يقفون على الفروق الدلالية واوجه الخلاف بين الكلمات مما يهيىء له انتقاء الكلمة التي تفي بغرضه في التعبير عن المعنى المراد (*) .

ثانياً: انواع المعاجم

أ ـ كتب الموضوعات:

وهي مرحلة تدوين الفاظ اللغة مرتبة في رسائل متفرقة محدودة الموضوع مبنية على معنى من المعاني. وكانت هذه الرسائل الصغيرة نواة المعاجم العربية الجامعة.

وقد وصل الينا من هذه الرسائل :

ـ الأيام والليالي والشهور : للفراء .

ـ الأزمنة: لقطرب .

(*) علم اللغة بين التراث والمعاصرة : ٢٣٥ـ ٢٣٧.

وينظر في علم الدلالة:

ـ دلالة الألفاظ : لأبراهيم أنيس

ـ علم الدلالة: لأحمد مختار عمر

ـ علم الدلالة عند العرب : لعادل فاخوري

ـ الدلالة اللغوي عند العرب: لعبد الكريم مجاهد

ـ علم الدلالة: لبالمر

ـ علم الدلالة: لبيارغيرو

ـ علم الدلالة : لجون لاينز

ـ علم الدلالة السلوكي : لجون لاينز

ـ مبادىء في علم الأدلة: لرولان بارت.

- الفرق : لقطرب .
- المطر: لأبي زيد .
- اللبأ واللبن: لأبي زيد .
- الابل: للاصمعي .
- خلق الانسان : للاصمعي .
- الخيل: للاصمعي .
- الدارات: للاصمعي .
- السلاح: للأصمعي .
- الشاء: للأصمعي .
- الفرق : للأصمعي :
- النبات: للأصمعي .
- خلق الانسان: لابن حبيب (ت٢٤٥هـ).
- الفرق: لأبي حاتم السجستاني(ت ٢٥٥هـ).
- النخلة: لأبي حاتم السجستاني .
- خلق الانسان: لثابت بن أبي ثابت (ق ٣هـ).
- الفرق: لثابت بن أبي ثابت .

وثمة كتب أخرى نهجت نهجاً آخر تناولت فيه ظواهر لغوية كالأضداد والترادف والمشترك اللفظي :

ب - كتب الأضداد :

جمعت هذه الكتب الألفاظ التي يستعمل كل منها للدلالة على الشيء وضده مثل (الجون) الذي يطلق على الأسود والأبيض،ومثل الفعل (يشري) الذي يدل على البيع وعلى الشراء، ومثل (الجلل) الذي يدل على العظيم وعلى الهين واليسير .

وقد الفت في هذا الباب كتب كثيرة وصل الينا منها كتب (*): قطرب والأصمعي والتوزي (ت ٢٣٣هـ) وابن السكيت وابي حاتم السجستاني وابي بكر بن الأنباري وابي الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ) وابن الدهان (ت ٥٦٩هـ) والصغاني (ت ٦٥٠هـ) والمنشي (ت ١٠٠١هـ)

ج — كتب الترادف :—

جمعت هذه الكتب الألفاظ التي معناها واحد واسماؤها كثيرة، مثل : القمح والبر والحنطة فمعناها واحد، والسنام والشرف والذروة والقمعة والهودة بمعنى واحد، واسهب واطنب وأفرط وأسرف وأغرق بمعنى واحد وقد وصل الينا من هذه الكتب (**):

- ماأختلفت الفاظه واتفقت معانيه: للأصمعي .
- الألفاظ: لأبن السكيت
- الألفاظ الكتابية: لعبد الرحمن الهمذاني (ت ٣٢٠هـ) .
- جواهر الألفاظ: لقدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) .
- الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى: للرماني (ت ٣٨٤هـ) .

— * * * * * * * * * *

د — كتب المشترك اللفظي :

جمعت هذه الكتب الألفاظ التي يدل كل واحد منها على أكثر من معنى، مثل (العين) فهي الباصرة وعين الماء، والمطر او السحاب، وحقيقة الشيء ونفسه، والجاسوس او الرقيب، والحسد ، والذهب او النقد ، والشريف. ومثل (الخال) فهو أخو الأم وعلامة الخد، وسحابة ممطرة، والتكبر، واسم موضع، والخلاء او القمر، ويوم من أيام على العرب ......الخ .

(*) ينظر : الأضداد في اللغة لمحمد حسين آل ياسين

(**) ينظر : الترادف في اللغة لحاكم مالك

وقد وصل الينا من هذه الكتب (*):

- الأجناس من كلام العرب وماشتبه في الألفاظ واختلف في المعنى: لأبي عبيد.
- ماتفق لفظه واختلف معناه: لابراهيم اليزيدي (ت ٢٢٥هـ)
- ماتفق لفظه واختلف معناه: لأبي العميثل (ت ٢٤٠هـ)
- ماتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد: للمبرد.
- المنجد في اللغة: لكراع النمل الهنائي (ت ٣١٠هـ).

* * * * * * * * * *

هـ — المعاجم العربية (*)

المعاجم اللغوية هي الملجأ الذي يهرع اليه الدارس والمدرس والعالم والمتعلم اذا ماأشكل عليه معنى قرأه او سمعه من الفاظ اللغة.

ولابد لنا ان نعرف معاجم لغتنا والسبل التي انتهجت في تأليفها وترتيب موادها كي نستطيع الوقوف على مانشده فيها بسهولة ويسر.

(*) ينظر: المشترك اللفظي لمحمد توفيق شاهين

(*) ينظر في المعاجم العربية:

المعجم العربي نشأته وتطوره: د. حسن نصار.

المعاجم العربية: د. عبد الله درويش.

المعجم العربي بين الماضي والحاضر: د. عدنان الخطيب.

المعاجم العربية وكيفية الأفادة منها: د. محمد جابر الفياض، رحمه الله.

المعاجم العربية: د. عبد السميع محمد.

المعاجم العربية: د. محمد أبو الفرج.

المعاجم العربية المجنسة: د. محمد عبد الحفيظ العريان.

المعاجم اللغوية العربية: د. أميل يعقوب.

المعجم العربي في لبنان: د. حكمت كشلي

من قضايا المعجم العربي: د. محمد رشاد حمزاوي

دراسات في المعجم العربي: ابراهيم بن مراد.

واطلق لفظ المعجم على الكتاب الذي اورد الألفاظ اللغوية ومعانيها مرتبة بحسب حروفها او منهجها الذي سارت عليه .

وقد أخذ هذا الاسم من عبارة (حروف المعجم) التي اطلقت على حروف الهجاء ومعناها الحروف التي يميز بعضها عن بعض بالنقط . سواء بنقطة واحدة او اثنتين او ثلاث .

واقدم استعمال لهذه العبارة وقفنا عليه في فهرست ابن النديم فقد نسب إلى حبيش بن موسى (كتاب الأغاني على حروف المعجم) الفه للخليفة المتوكل الذي تولى الخلافة سنة ٢٣٢ه الى سنة ٢٤٧ه .

وثمة كلمة استعملت مرادفة للمعجم وهي (القاموس) وقد اطلقها الفيروز آبادي على معجمه فسماه (القاموس المحيط) واراد به البحر المحيط باللغة.

مدارس المعاجم العربية

أولا : مدرسة العين :

كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ه) مبتدع العروض ومبتكر ترتيب حروف الهجاء العربية بحسب مخارجها لجميع الألفاظ العربية المستعمل منها والمهمل وقد اعتمد في ترتيبه على ثلاثة اسس هي :ـ

١ـ المخارج :

رتبت المادة اللغوية على حسب مخارج الأصوات من الحلق على النحو الاتي: ع ح ه خ غ ـ ق ك ـ ج ش ض ـ ص س ز ـ ط د ت ـ ظ ذ ث ر ل ن ـ ف ب م ـ و ا ي ء .

وقد جعل الخليل معجمه أقساماً على عدد الحروف وسمى كل قسم منها كتاباً . فأبتدأ معجمه بـ (كتاب العين) وضم جميع الكلمات التي تتضمن صوت العين في أي موضع منها ،ثم اتبعه (كتاب الحاء) الذي ضم كل

الكلمات المشتملة على حاء في اي موضوع مع استبعاد الكلمات التي فيها عين لأنها ذكرت في حرف العين. ثم اتبعه (كتاب الهاء) الذي اشتمل على الكلمات التي فيها هاء في أي موضع منها عدا التي فيها عين او حاء لأنها ذكرت في كتابي العين والحاء وهكذا .. حتى استوفى سائر الحروف، ونرى بعد ذلك ان عبارة (كتاب العين) جاءت اسماً للمعجم كله، واسماً للقسم الأول منه. وتلك عادة عربية مألوفة يطلق عليها تسمية الكل باسم الجزء .

٢ — الأبنية :

قسم الخليل كل كتاب على ابواب تبعاً لهيأة الكلمات التي يحتوي عليها كل باب ، فجعل الأبواب ستة على الترتيب الاتي : —

١— باب الثنائي الصحيح المضاعف: مثل عفّ

٢— باب الثلاثي الصحيح : مثل علم.

٣— باب الثلاثي المعتل (بحرف واحد): مثل عون .

٤ — باب الثلاثي المعتل بحرفين (اللفيف): مثل وعى.

٥ — باب الرباعي: مثل بعثر

٦— باب الخماسي : مثل سفرجل .

٣ — التقاليب :

وهي تغيير مواقع أحرف اللفظ او ترتيبها حتى يأخذ كل منها مواقع الأحرف المشتركة معه في تكوين اللفظ .

وقد عمد الخليل الى التقاليب ليقف على كل مايمكن ان يتكون من حروف الهجاء من الفاظ مستعملة او مهملة . وقد انتهى الى ان للثنائي او المضعف صورتين فالدال والراء مثلا لايتكون منهما غير (در ،رد). اما الثلاثي فله ست صور، فاللام والعين والباء مثلا لايتكون منها غير: (علب عبل ، لعب ،بعل ،بلع ،لبع).والكلمات الخمس الأولى مستعملات والأخيرة

وهي (لبع) مهملة،واما الرباعي فتصل فيه التقليبات الى اربع وعشرين صورة وتصل في الخماسي الى مئة وعشرين صورة وقد جمع الخليل تقاليب اللفظ كلها في اسبق حرف منها في ترتيبه المخرجي . لذا فالبحث عن الألفاظ في العين يتطلب :

(أ) ترتيب أحرفه بحسب ترتيب الخليل للحروف ، لكي نقف على الكتاب (الباب) الذي يرد اللفظ فيه.

(ب) النظر في بنيته ان كان ثنائياً او ثلاثياً او غير ذلك لمعرفة الفصل الذي يورده فيه.

(ج) الصورة التي ورد بها اللفظ المبحوث لمعرفة القسم الخاص به فالفعل (لعب) مثلا يرتب بحسب ترتيب الخليل للحروف فيكون (عالب). اذ العين قبل اللام واللام قبل الباء ولهذا يبحث عنه في كتاب العين. ولما كان الفعل ثلاثياً صحيحاً فالبحث عنه ينحصر في الفصل الخاص منه بالثلاثي الذي اتصلت فيه العين باللام مع الباء، ولكن اللفظ المبحوث عنه (لعب) وليس (عالب) لذا يبحث عنه في الصورة او التقليب الذي يطابقه وهكذا .

أثر العين في حركة التأليف :

اهتم اللغويون بكتاب العين فألفوا كتباً كثيرة تناولت اختصاره وفائته وتكملته والاستدراك عليه ونقده ، وقد فقدت أكثر هذه الكتب ولم يصل الينا منها غير مخطوطات قليلة في اختصاره (*).

وقد حظي كتاب العين باعجاب العلماء بمنهجه مما حداهم الى ان يحتذوه في كتب لهم فتوالت مجموعة من المعاجم تلتزم بخطته التزاماً تاماً احياناً وبالمعالم الكبرى من خطته أحياناً أخرى وهذه المعاجم هي التي نسميها مدرسة العين وهي :

(*) ينظر : معجم المعاجم ٢٠٥ - ٢١١

١ ــ البارع: لأبي علي القالي (ت ٣٥٦هـ) .

٢ ــ تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ).

٣ ــ المحيط : للصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ) .

٤ ــ المحكم والمحيط الأعظم: لابن سيدة (ت ٤٥٨هـ) .

* * * * *

ثانياً: مدرسة الجمهرة :

نسبة الى كتاب (جمهرة اللغة) لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ) واختار ابن دريد لمؤلفه هذا الاسم وعلل تسميته بقوله في مقدمة كتابه:(وانما اعرناه هذا الاسم لأنا اخترنا له الجمهور من كلام العرب وارجأنا الوحشي والمستنكر) .

واستقل ابن دريد بمعجمه عن مدرسة العين باتخاذه الأبنية اساساً لتقسيم كتابه اذ قسمه على اربعة اقسام رئيسة جعل كل قسم منها لبناء خاص وهي:

١ ــ الثنائي الصحيح المدغم: ويضم مانعرفه باسم الثلاثي المضعف .

٢ ــ الثلاثي الصحيح .

٣ ــ الرباعي .

٤ ــ الخماسي .

وبعد ان ختم كل واحد من هذه الأبنية أتى بقدر من الأبواب الحقها به من غير مبرر في كثير من الأحيان فأشاع كثيراً من الاضطراب.

واختلف عن منهج الخليل باتخاذه النظام الألفبائي أساساً لترتيب الفاظها وبهذا أعرض عن الترتيب الصوتي للحروف الذي سارت عليه مدرسة العين . والتزم ابن دريد في الجمهرة بنظام التقاليب الذي ابتدعه الخليل في العين. ولابد ان نشير الى ان البحث عن لفظ في الجمهرة يتطلب جهداً ووقتاً ، ولولا

الفهارس التي صنعها كرنكو ناشر الكتاب والتي رتب فيها الألفاظ بحسب الترتيب الهجائي كما في المعاجم الحديثة لبقي كتاب الجمهرة مهجوراً . لأنها جعلت الرجوع اليه يسيراً ونافعاً .

ثالثاً: مدرسة المقاييس :

نسبة الى كتاب (مقاييس اللغة) لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) وقد استقل ابن فارس في تنظيم معجمه بمنهج خاص عمد فيه الى الترتيب الهجائي للحروف فخص كل حرف منها بكتاب. فبدأ بكتاب الهمزة واعقبه الباء ثم التاء ثم الثاء الى ان انتهى منها جميعاً . فخالف بهذا مدرسة العين التي اعتمدت على الترتيب الصوتي للحروف، كما خالف مدرسة الجمهرة لاعتمادها على الأبنية في التقسيم الرئيسي للكتاب ،وخالفهما معاً في اخذهما بنظام التقاليب واعراضه عنه اعراضاً تاماً .

ولهذا فليس بالامكان ربطه بأي من المدرستين السابقتين لاختلافه عنهما اختلافاً منهجياً ظاهراً .

وبعد ان قسم كتابه بحسب حروف الهجاء عدداً وترتيباً قسم كل كتاب أو كل حرف على ثلاثة أبواب، اولها للثنائي المضعف ،وثانيها للثلاثي، وثالثها لما زاد على الثلاثي،غير انه الزم نفسه بأخذ الحرف مع ماتلاه من مواد تلك الأبنية حتى اذا فرغ من كل ماتلاه أخذه مع سابقه،فصار السابق عنده لاحقاً واللاحق سابقاً لاعراضه عن نظام التقاليب والتزامه بالحرف مع ماتلاه أولا وهذا المنهج انفرد به ابن فارس .

ففي الثنائي المضعف من كتاب الجيم مثلا يستهل المضاعف بكلمة (جحّ) وبعدها جخّ ثم جدّ ثم جرّ ثم جذّ ثم جزّ ثم جسّ .. حتى ينتهي الى جو ،وعندئذ يعود من جديد لاستيفاء الحروف السابقة للجيم فيذكر بعد جو: جأ،جب ،جثّ.

ولابن فارس كتاب آخر سماه (مجمل اللغة) قصد فيه الى الاختصار والايجاز ، قال في مقدمته: (وسميته مجمل اللغة لأني اجملت الكلام فيه اجمالا) .

وقد اتبع ابن فارس منهج (مقاييس اللغة) بحذافيره .

رابعاً: مدرسة الصحاح

نسبة الى كتاب (تاج اللغة وصحاح العربية) لاسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ) .

وقد انتخب له الجوهري هذا الاسم لاقتصاره فيه على ماصح عنده من الفاظ اللغة. واختط لمعجمه هذا منهجاً خاصاً اعرض فيه عن الترتيب الصوتي لمخارج الحروف كما اعرض عن نظام الأبنية والتقاليب. وآثر ترتيب ألفاظه على النظام الألفبائي للحروف .

وطبق الترتيب الهجائي اول ماطبقه على اواخر الألفاظ ومن ثم على اوائلها وعلى ماتلا الحروف الأولى حتى أتى على حروفها كافة ،فقسم معجمه على ثمانية وعشرين باباً ،جعل لكل حرف من حروف الهجاء باباً منها الا انه جمع الواو والياء في باب واحد لأنهما كثيراً ماينقلبان الفاً ،وأودع في كل باب جميع الألفاظ المنتهية بحرفه ،فالباب عنده يشير الى الحرف الاخير من اللفظ ولهذا سُمّي نظامه بنظام القافية ،وقسم كل باب على ثمانية وعشرين فصلاً مشيراً بهذه الفصول الى اوائل حروف الألفاظ. وهذا هو شأنه في الأبواب كلها، فباب الباء فصل الهمزة ضم جميع الألفاظ المنتهية بالباء والمبدوءة بالهمزة أياً كانت أبنية هذه الألفاظ كما انه رتّب مواد كل فصل من هذه الفصول بحسب اسبقية مابين الحرفين الأول والأخير منها في الترتيب الهجائي أيضاً .

ولهذا فالبحث عن لفظ في الصحاح وماماثله من معاجم يتطلب معرفة الحرف الأخير منه لمعرفة بابه ، كما يتطلب معرفة حرفه الأول للوقوف على

الفصل الذي تضمنه من ذلك الباب ،وتنظر بعد هذا بقية أحرفه بحسب تواليها لتحديد موضعه من الفصل فكلمة (ضرب) نجدها في باب الباء فصل الضاد بعد كلمة (ضبب) لأن فصل الضاد في باب الباء فيه الألفاظ : ضبب ثم ضرب ثم ضغب ثم ضوب ثم ضهب ،ولابد من الأشارة الى ان الجوهري قدم حرف الواو على حرف الهاء في معجمه.

ولم يكن الجوهري اول من وضع قواعد هذا المنهج فقد سلكه قبله البندنيجي (ت ٢٨٤ﻫ) في كتابه (التقفية)،وخاله الفارابي (ت ٣٥٠ﻫ) في كتابه(ديوان الأدب). والفرق بين هذه الكتب والصحاح انها كتب أبنية تعنى بأمثلة الأبنية وتقوم عليها بينما هو معجم عام.

ولقد أعجب بالكتاب أكثر اللغويين فأقبلوا عليه بالدرس والتكميل والتعليق والنقد والاستدراك والاختصار والنظم (*).

وقد طبع من هذه الكتب التي تناولت الصحاح :

ـ التنبيه والأيضاح عما وقع في الصحاح : لابن بري (ت ٥٨٢ﻫ) .

ـ التكملة والذيل والصلة: للصغاني .

ـ مختار الصحاح: للرازي (ت بعد ٦٦٦ﻫ) .

المعاجم التي تنتمي الى مدرسة الصحاح :

١ ـ العباب: للصغاني .

٢ ـ لسان العرب: لابن منظور(ت ٧١١ﻫ) .

٣ ـ القاموس المحيط : للفيروز آبادي (ت ٨١٧ﻫ) .

٤ ـ تاج العروس: لمحمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ﻫ)

خامساً: مدرسة الأساس :

نسبة الى (اساس البلاغة) للزمخشري الذي آثر ان يأخذ بالترتيب الهجائي (الألفبائي) للحرف على اساس اول اللفظ بدلا من آخره مع بقائه ضمن النظام الألفبائي .

(*) ينظر تفصيل ذلك واسماء الكتب التي دارت حول الصحاح في مقدمة الصحاح ١٥٤-١٧١

وجعل معجمه في ثمانية وعشرين باباً اي انه جعل كل حرف في باب أسماه كتاباً .

فالكتاب الأول كتاب الهمزة وفيه الألفاظ المبدوءة بالهمزة. ويليه كتاب الباء فالتاء فالثاء.. الى آخر الحروف ،وهو يراعي هذا الترتيب داخل كل باب في ثواني الكلمات وثوالثها معتمداً على حروفها المجردة ،فالكلمات تتعاقب في باب العين مثلا على الوجه الاتي: عبأ ، عبب،عبث ،عبد ..الخ.

ولم يكن همّ الزمخشري استقصاء الألفاظ العربية ومعانيها اللغوية وانما انحصر همه في اقتناص العبارات الأدبية البليغة من آيات واحاديث وامثال واشعار والوقوف من خلالها على معاني الألفاظ واستعمالاتها مبتدئاً بالحقيقة ثم الدلالات المجازية،وهنا نلاحظ ان ثمة مواد ساقطة من معجمه لأنها لاتدخل في نطاق منهجه ولاتنسجم مع الفكرة العامة التي بنى عليها معجمه من حيث احتواؤه الحقيقة والمجاز معاً.

وطريقة الأساس أيسر طرائق البحث عن الألفاظ في المعاجم.

ولم يكن الزمخشري اول من اتبع هذه الطريقة برغم اشتهار نسبة ذلك اليه ،لأن الفكرة بدأت عند أبي عمرو الشيباني (ت نحو ٢٠٨هـ) في كتابه (الجيم) فقد رتبه على النسق المعروف لدينا من حيث النظر الى الحرف الأول والنظام الألفبائي ولكنه لم يكن دقيقاً في ذلك .

ومن المعاجم التي سارت على طريقة الأساس :

١ — المصباح المنير: للفيومي (ت ٧٧٠هـ).

٢ — محيط المحيط: لبطرس البستاني (ت ١٨٨٣).

٣ — أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد: لسعيد الخوري الشرتوني (ت ١٩١٣) .

٤ — البستان: لعبدالله البستاني (ت ١٩٣٠) .

٥ — المنجد: للويس معلوف (ت ١٩٤٧).

٦ — متن اللغة: للشيخ أحمد رضا (ت ١٩٥٣).

٧ ــ المعجم الوسيط: اصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

٨ ــ المعجم الكبير: صدر جزءان منه عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

* * * *

و ــ معاجم المعاني :

وهي المعاجم التي اتبعت نظام الترتيب الموضوعي وتمثل نوعاً آخر من المعاجم غير معاجم الألفاظ التي سلف ذكر مدارسها .

ويقوم هذا الضرب من التأليف على جمع الفاظ اللغة وتدوينها بحسب معانيها لابحسب اصولها وحروفها، فثمة كتاب في خلق الانسان وآخر في الأنواء وآخر في الخيل وغيرها من الموضوعات التي يضمها معجم واحد من معاجم المعاني.

أشهر معاجم المعاني :

١ ــ الغريب المصنف: لأبي عبيد.

٢ ــ الألفاظ الكتابية : لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني .

٣ ــ جواهر الألفاظ: لقدامة بن جعفر .

٤ ــ متخير الألفاظ: لأحمد بن فارس

٥ ــ التلخيص في معرفة اسماء الأشياء : لأبي هلال العسكري (ت بعد ٣٩٥هـ) .

٦ ــ مباديء اللغة: للاسكافي (ت ٤٢١هـ) .

٧ ــ فقه اللغة وسر العربية: للثعالبي (ت ٤٢٩هـ)

٨ ــ المخصص: لابن سيدة .

٩ ــ نظام الغريب: للربعي(ت ٤٨٠هـ)

١٠ ــ كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ: لأبن الأجدابي(ق٦هـ) .

١١ ــ حدائق الأدب: لعبد الله بن محمد بن شاهمردان (ت نحو ٦٠٠هـ)

العوامل المؤثرة في تغير الدلالة

هناك عوامل خارجة لها أثرها في تغير المعنى حيث ان الألفاظ متطورة متغيرة فلابد ان يكون هناك مايؤثر في تغير الدلالة تأثيراً مباشراً مما يؤدي بالتالي الى تغير في هذه الدلالة فتؤدي معنى جديداً وتدل دلالة جديدة على معنى قديم او كلمة جديدة الى مدلول قديم .

ومن هذه العوامل ماهو معروف لنا من قبل وهو : الحاجة الى كلمة جديدة أو كلمة أقدر من غيرها على التعبير المقصود .

فاذا احتجنا مثلا الى كلمة مناسبة لاطلاقها على الاسطوانة المعروفة في عالم الغناء والموسيقى فأقرب طريق الى ذلك هو ان نوسع في معنى كلمة تسجيل بحيث تشمل الأسطوانة بالاضافة الى عملية التسجيل نفسها (١).

على ان هناك حالات أخرى لاحصر لها يكون تغيير المعنى فيها غير مرتبط بأية حاجة عملية حيث لايعمل هذا التغيير على سد النقص الموجود في الثروة اللفظية وانما يضيف أمثلة جديدة الى المترادفات الموجودة بالفعل. فالفعل « يموت» ومايشتق منه يصبح جائز الاستعمال في الكلام الدارج نحو « يموت فيه» (وبحبها موت) فاللغة لديها ثروة غنية من الكلمات التي نستطيع ان نختار منها مانشاء .

ان تغير المعنى ليس الا جانباً من جوانب التطور اللغوي ولا يمكن فهمه فهما تاماً الا اذا نظرنا اليه من هذه الزاوية .

وكما نعرف ان اللغة ليست ساكنة بحال من الأحوال . بالرغم من ان تقدمها يبدو بطيئاً في بعض الأحايين ، فالأصوات والتراكيب والعناصر النحوية وصيغ الكلمات ومعانيها معرضة كلها للتغير والتطور .

ولكن سرعة الحركة والتغير فقط هي التي تختلف من فترة زمنية الى أخرى ومن قطاع الى آخر من قطاعات اللغة .

---

(١) اولمان: دور الكلمة في اللغة ١٥٥.

ان كل التغيرات التي تصيب اللغة مهما اختلفت في طبيعتها وسرعتها ومجالها تسير وفقاً لقاعدة اساسية واحدة هي انها دائماً وأبداً تقع على مرحلتين :

١ ــ مرحلة التغير نفسه أو الابتداع والتجديد

ويظهر هذا في الكلام الفعلي وهو عمل فردي كالكلام نفسه، ولكن هذا لايعني انه مقصور على فرد واحد، فقد يتصادف ان يتمتع أفراد لاحصر لهم على الابتداع في وقت واحد . بل قد يحس عدد آخر من الجماعة اللغوية المعينة بأن هذا الابتداع كان حاضراً بأذهانهم وكان بأستطاعتهم ان يبدأوا به وربما فعلوا .

٢ ــ مرحلة انتشار التغير

اذا ما سمع الإنسان الشيء المبتدع في عبارة أو في عبارات علق بالذهن وترتب على ذلك استعمال الاخرين له ونفذ بالتدريج الى نظام وتأتي بعد ذلك مرحلة تسجيل الكلمات ومعانيها في معاجم اللغة .

ونرى ان المرحلة الأولى فردية والثانية اجتماعية معتمدة في أساسها على قوة التقليد ، هذا التقليد ربما يكون مقصوراً على المتكلمين البالغين ولكن يجب الا ننسى الدور الذي تقوم به الأجيال القادمة في عملية التجديد اللغوي فهذه الأجيال حين اكتسابها للغاتها القومية تتعرض لاحتمالات سوء الفهم وتغيير القواعد والنظم الثابتة أو الانحراف عنها

ان اللغة تنتقل من جيل الى جيل على فترات تتخللها تغيرات وانحرافات دائمة ، وهذه الحقية ذاتها تؤدي الى المرونة في الاستعمال اللغوي والى عدم ثبات الظواهر اللغوية أكثر من أي عامل آخر.

واليك العوامل المباشرة المؤثرة في تغير المعنى :

١ ــ الاستعمال اللغوي :

ان الألفاظ كما هو معروف لم تخلق لتحبس في خزائن من الزجاج فيراها الناس من وراء تلك الخزائن ثم يكتفون بتلك الرؤية العابرة ولو أنها

كانت كذلك لبقيت على حالها جيلاً بعد جيل وعصراً بعد عصر ولكن الألفاظ وجدت وتعارف الناس عليها لاستعمالها في حياتهم اليومية كما يتعاملون بالسلعة والعملة غير ان التبادل يكون عن طريق الأذهان تلك التي تختلف من جيل الى جيل وبين افراد الجيل الواحد والبيئة الواحدة بل والأسرة الواحدة في التجربة والذكاء وتتشكل وتتكيف الدلالة تبعاً لها(١) . ويمكن تلخيص عناصر هذا العامل فيما يأتي :

ا ـ سوء الفهم :

وتلك تجربة قد يمر بها كل منا حين يسمع اللفظ للمرة الأولى فيسيء فهمه ويوحي الى ذهنه دلالة غريبة لاتكاد تمت الى مافي ذهن المتكلم بأية صلة. ومثال ذلك ان تسمع شخصاً مايقول : القدر يمكن ان يساء فهمها ويأخذها السامع على انها القَدْر أو القدر،وكذلك كلمة الثورة قد يساء فهمها ويأخذها السامع على انها الثروة ثم لاتتاح للسامع فرصة أخرى لتصحيح خطئه ويبقى اللفظ في ذهنه مرتبطاً بتلك الدلالة الجديدة .

ب ـ الابتذال أو« الانحطاط» :

هناك كثير من الألفاظ في كل اللغات يصيبها الابتذال وذلك لأسباب منها سياسية او اجتماعية أو عاطفية. فحين نتذكر أن بعض الظروف السياسية قد تتطلب الحط من القاب ورتب اجتماعية ندرك السبب في انزواء بعض الألفاظ التي تعبر عنها من اللغة ولعل أقرب مثال لهذا هو الغاء الألقاب والرتب في مصر فانزوت كلمات مثل باشا، بك، افندي وغيرها من القاب تركية مرت بها تطورات في دلالتها وانحط قدرها على توالي الأيام (٢) .

ولعل أوضح الأسباب في ابتذال بعض الألفاظ تلك التي تتصل بالناحية النفسية العاطفية وذلك ان يكون اللفظ قبيح الدلالة أو يتصل بالقذارة والدنس

---

(١) عوامل التطور اللغوي. د. أحمد حماد ١١٩، ١٢٠

(٢) دلالة الألفاظ د. أبراهيم أنيس ١٣ وما بعدها.

أو يرتبط بالغريزة الجنسية . نلاحظ هنا ان جل اللغات تمقت بعضاً من الفاظها التي تعبر عن هذه النواحي فتندثر تلك الألفاظ وتنزوي ويحل محلها لفظ آخر أقل وضوحاً في الدلالة وأكثر غموضاً أو تعمية مثل: قضاء الحاجة، أنا ذاهب للحمام (١).

جـ- احياء الفاظ قديمة ذات دلالات مندثرة واطلاقها على مستحدثاته ملتمساً في هذا أدنى ملابسة، وهكذا وجدنا أنفسنا أمام ذلك الفوج الزاخر من الألفاظ القديمة بصورة جديدة من الدلالة كالمدفع والقنبلة، والدبابة واللغم والطيارة والطراد والسيارة ، والبريد والقاطرة والقطار والثلاجة والمذياع والذبذبات ،والتسجيل، والجرائد والهاتف والتلغراف وغير ذلك من آلاف الألفاظ التي أحياها الناس واستعملوها وخلعوا عليها دلالات جديدة تطلبتها حياتهم اليومية الجديدة (٢) .

د- الاقتراض

كثيراً ماتدعو الحاجة الى الفاظ اللغات الأجنبية فيقترض منها ماتمس الحاجة اليه حينا ومالا حاجة اليه حيناً آخر، فاللغات تقترض بعضها من بعض ويقتصر الاقتراض عادة على الألفاظ والكلمات ولاتكاد تتعداها الى العناصر اللغوية الأخرى كالتصريف والاشتقاق والتركيب، أما الاقتراض الذي تدعو الحاجة اليه فقد عرفه القدماء كما عرفه المحدثون فقد اقترض العرب من الحبشة واليونان الفاظاً للتعبير عن اشياء ليست في بلاد العرب، وعمد القدماء الى تلك الألفاظ فحوروا من بنيتها وجعلوها نسج الكلمات العربية وسموها بالعربية وتركوا البعض الاخر على صورته وسموه بالدخيل .ومن أمثلة ذلك :

(١) انظر علم اللغة- مقدمة للقارىء العربي د. السعران ٣٠٥.

(٢) اللسان والأنسان- د. حسن ظاظا ١٠٤.

الصراط: واصله الكلمة اللاتينية ستراتا .

البرتقال: من بحارة البرتغال.. الخ. من مئات الألفاظ (١).

٢ ـ العوامل التأريخية :

ان انتقال الكلمات من عصر الى آخر لابد ان يصاحبه تغير في مدلول هذه الكلمات نظراً لما يحدث من تغير وتطور في الحياة الإجتماعية والسياسية والإقتصادية وغيرها مما يمس حياة الإنسان من قريب أو بعيد.وكما اوضحت ان الكلمات عرضة للتطور والتغيير ويكون هذا واضحاً جلياً عند انتقال الألفاظ من عصر تأريخي الى عصر آخر ومن فترة تأريخية معينة الى فترة تاريخية جديدة حدث ماحدث فيها من تغير في حياة الناس وعاداتهم وتقاليدهم ومثلهم ومخترعاتهم وماجد عليهم من صناعات جديدة وعلوم وفنون حديثة، كل هذا لابد ان يجاريه تطور في الألفاظ وتغير في الدلالة .

فكلمة Ship « سفينة» مثلا قد تغيرت صفتها تغيراً لايكاد يذكر منذ العهد الانجلو سكوني ومع ذلك فان السفن الحالية تختلف عن السفينة التي كان يبحر عليها قراصنة الشمال من عدة وجوه،أي من حيث الحجم والتركيب والشكل والخواص الفنية (٢).

ومعنى هذا أن المدلول قد لحقه التغيير ولكن اللفظ الدال عليه قد بقي على حاله ومعناه كذلك ان التماثل الأساسي في الوظيفتين القديمة والجديدة للمدلول كان سبباً في اعاقة اللغة عن ملاحقة التقدم الحضاري وهذه الظاهرة نفسها تطبق على المنظمات والمؤسسات ونحوهما .

فالبرلمان الانجليزي اليوم يختلف الى حد ما في لوائحه وقوانينه عن برلمانات القرن السابع عشر ومع ذلك فقد وجد ان من الأصلح الاحتفاظ باللفظ الدال عليه. ولو فرض حدوث تعديل دستوري آخر وكثيراً مايناقش هذا

(١) المرجع السابق ١٠٧

(٢) اللغة والمجتمع ـ د. السعران ١٤.

التعديل في الوقت الحاضر ، يرمي الى تغير الطريقة التي يتكون بها مجلس اللوردات مثلا فأن هذا التعديل سوف لايتضمن التخلص من الاسم ذي الشهرة التأريخية وتغييره الى « جمعية» أو « كونجرس » مثلا . نعم ان المدلول حينئذ سوف يلحقه تغيير جوهري ولكنه مع ذلك سوف يظل مرتبطاً بالمدلول القديم ومتصلا به (١).

وفي العصر الإسلامي حدث تغير كبير في مداول كثير من الألفاظ والمصطلحات الدينية والشرعية والفقهية واللغوية وكانت الفاظها موجودة قبل الإسلام ولكنها كانت تدل على معان أخرى فتحولت الدلالة على مايقاربها من المعاني الجديدة . فلفظ المؤمن كان معروفاً في الجاهلية ولكن كان يدل عندهم على الأمان، او الايمان وهو التصديق فأصبح في الإسلام يدل على المؤمن وهو غير الكافر، وقس على ذلك جميع المصطلحات الفقهية التي ظهرت في صدر الإسلام (٢).

ثم نجد ان هنالك الفاظاً ادارية استحدثت لما امتدت الفتوحات واتسعت رقعة الدولة الإسلامية لقد مست الحاجة الى مصطلحات ادارية وسياسية فانتشرت الفاظ جديدة مثل الدبابة، والعرادة والكبش والمنجنيق، والمتطوعة .... الخ .

وحدث ماحدث من تطور في المصطلحات المالية مثل الجباية، والمكس والسكة، الراتب، الضمان المكوس وغير ذلك كثير ، وبهذا ظهرت الفاظ جديدة أصبحت تدل على مستحدثات جديدة لم تكن معروفة قبل الاسلام ولهذا نجد ان الألفاظ عرضة للتطور والتغير في كل عصر ولذا نجد أن الألفاظ ربما تدل دلالة جديدة على معنى قديم او تلبس معنى قديماً لفظاً جديداً (*).

---

(١) اللغة والمجتمع — د. السعران ١١٤ .

(٢) انظر— اللغة كائن حي : ٦٥

(*) العلاقة بين اللغة والفكر : ٦٩— ٧٥

نشأة اللغة الانسانية

ان العلماء والمفكرين اختلفوا كثيراً حول موضوع نشأة اللغة، وقد تنوعت اراؤهم واختلفت مذاهبهم. ومع ذلك لم يصلوا في بحثهم الى نتائج يقينية، وكانت اراؤهم تصطبغ بالصبغة الشخصية. واللغة احدى مميزات الانسان الرئيسة التي تميزه عن الحيوان وقد قيل: الانسان حيوان ناطق. وفي ذلك يقول ماريو باي (١): (فيما يختص بنشأة اللغة وطبيعتها لدينا مصادر تعتمد على الأساطير والحديث المنقول والمناقشات الفلسفية، ولكن تنقصنا الحقائق العلمية في هذا الصدد).

وقد حاول بعض العلماء عرض نظرياته في هذا الموضوع ملبساً اياها ثوباً علمياً. ومحاولا الدفاع عنها في صلابة واصرار غير ان بعض المعتدلين من علماء اللغة سخروا حتى من مجرد التفكير في ادراج هذا الموضوع ضمن بحوث علم اللغة.

وقد قررت الجمعية اللغوية في باريس عدم مناقشة هذا الموضوع نهائياً أو قبول اي بحث فيه لعرضه في جلستها كما ان كثيراً من العلماء ذوي الشهرة في علم اللغة أمثال: (بلومفيلد) و(فيرث) لم يتعرضوا للدراسة هذا الموضوع بشكل علمي او بصورة تنبىء عن اهمية البحث فيه.

وقد تناوله فيرث باختصار جداً على سبيل أن الكلام فيه نوع من الفلسفة اللغوية التي قد يكون من المفيد المام طالب علم اللغة بها.

ولابد هنا ان نلم الماماً سريعاً ببعض النظريات والاراء التي حاول بها العلماء تفسير نشأة اللغة الانسانية :

---

(١) لغات البشر : ١٧

أولا : مذهب الوحي والالهام أومذهب التوقيف كما يقول ابن فارس اللغوي (١).

ويتلخص هذا المذهب في ان الله سبحانه وتعالى، لما خلق الأشياء، الهم آدم، عليه السلام ،ان يضع لها أسماء فوضعها.

واستند أصحاب هذا المذهب الى أدلة نقلية مقتبسة من الكتب المقدسة. فقد استدل علماء العرب بقوله تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها، ثم عرضهم على الملائكة» (البقرة ٣١).

ووجدنا الجاحظ(ت ٢٥٥ﻫ) يؤمن بهذه النظرية في رسالة مناقب الترك(٢)

ثانياً : مذهب المواضعة والاصطلاح :

وهي التي حاولت تفسير نشأة اللغة بأنها مواضعة واتفاق بين الناطقين بها بحيث كان ارتجال الألفاظ اساساً في بناء اللغة .

وقد صور ابن جني (٣) أيضاً رأي اصحاب هذا الاتجاه فقال: (ان أصل اللغة لابد فيه من المواضعة وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً، فيحتاجون الى الأبانة عن الأشياء، فيضعوا لكل منها سمة ، ولفظاً يدل عليه ويغني عن احضاره أمام البصر. وطريقة ذلك ان يقبلوا مثلا على شخص، ويومئوا اليه قائلين : انسان، فتصبح هذه الكلمة اسماً له وان ارادوا سمة عينه أو يده او رأسه او قدمه ،أشاروا الى العضو، وقالوا: يد، عين، رأس، قدم .... الخ .

ويسيرون على هذه الوتيرة في اسماء بقية الأشياء وفي الأفعال والحروف وفي المعاني الكلية والأمور المعنوية نفسها . وبذلك تنشأ اللغة العربية مثلا) وليس لهذا المذهب اي سند عقلي اونقلي او تأريخي لأن مايقرره يتعارض مع النواميس العامة التي تسير عليها النظم الاجتماعية ...

---

(١) الصاحبي : ٦-٩

(٢) رسائل الجاحظ ٣/١٩١

(٣) الخصائص : ١/٤٤

والتواضع على التسمية يتوقف في كثير من مظاهره على لغة صوتية يتفاهم بها المتواضعون. فكيف نشأت هذه اللغة الصوتية اذن ؟

وهكذا نرى ان مايجعله أصحاب هذه النظرية منشأ للغة ،يتوقف هو نفسه على وجودها من قبل .

ثالثاً : مذهب المحاكاة :

وخلاصته ان الأنسان سمى الأشياء بأسماء مقتبسة من اصواتها،أو بعبارة أخرى ان تكون اصوات الكلمة نتيجة تقليد مباشر لأصوات طبيعية صادرة عن الانسان او الحيوان او الأشياء .

وقد عرض لهذا الرأي ابن جني فقال:(وذهب بعضهم الى ان أصل اللغات كلها انما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس.. ونحو ذلك. ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد) .

وقد ارتضى ابن جني (١) هذا الرأي فقال معقباً عليه: (وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل) .

وأول من دافع عن هذا المذهب من علماء الغرب بالتفصيل العالم الألماني (هردر) في كتابه (بحوث في نشأة اللغة).

ويمتاز مذهب المحاكاة بأنه يشرح لنا مبلغ تأثر الانسان في النطق بالألفاظ بالبيئة التي تحيط به، غير ان اهم مايؤخذ عليه أنه يحصر أساس نشأة اللغة في الملاحظة المبنية على الاحساس بما يحدث في البيئة ، ويتجاهل الحاجة الطبيعية الماسة الى التخاطب والتفاهم والتعبير عما في النفس، تلك الحاجة التي هي من اهم الدوافع الى نشأة اللغة الانسانية، فأن الرغبة الذاتية في التعبير

(١) الخصائص: ١/٤٦- ٤٧.

والحاجة الماسة الى التفاهم كلاهما من اهم الدوافع التي يجب ان يعتد بها في نشأة اللغة واضطرار الانسان الأول للنطق بالألفاظ .

هذا الى ان المذهب لايبين لنا كيف نشأت الكلمات الكثيرة التي نجدها في اللغات المختلفة ولانرى فيها محاكاة لأصوات المسميات ويتضح ذلك بوجه خاص في اسماء المعاني . كالعدل والمروءة والكرم والشجاعة وغير ذلك .

وقد دعا هذا النقص العالم (هردر) المدافع الأول عن هذه النظرية الى العدول عنها في أخريات حياته ، كما سخر منها اللغوي الألماني (مكس موللر) ..

ومع ذلك فأن لأصحاب هذه النظرية الفضل في انها فتحت للباحثين باب البحث الفلسفي في نشأة اللغة كما انها لاتبعد كثيراً في ارجاعها نشأة اللغة في بعض الأحيان الى ملاحظة خاصة .

رابعاً : نظرية التنفيس عن النفس :

وتتلخص هذه النظرية في ان مرحلة الألفاظ قد سبقتها مرحلة الأصوات الساذجة التلقائية الانبعاثية التي صدرت عن الانسان ، للتعبير عن ألمه أو سروره أو رضاه أو نفوره وما الى ذلك من الأحاسيس المختلفة فهذه الأصوات الساذجة قد تطورت على مر الزمن حتى صارت الفاظاً .

وقد شرح (فندريس)تصور اصحاب هذه النظرية لكيفية نشأة اللغة (١) . وتمتاز هذه النظرية عن سابقتها بأنها تعزو نشأة اللغة الانسانية الى أمر ذاتي ، أي انها تعتد بالشعور الوجداني الانساني ، وبالحاجة الى التعبير عما يجيش بصدر الأنسان من أحاسيس وانفعالات .

---

(١) اللغة : ٣٨-٣٩ .

أما النظرية السابقة فترجع نشأة اللغة الانسانية الى ملاحظة خارجية موضوعية أي ملاحظة مظاهر الطبيعة ومحاكاتها في ابتكار الأسماء الدالة عليها .

ولذلك كانت هذه النظرية خطوة أخرى في اتجاه آخر نحو البحث عن حل للمشكلة، فأنها تشرح لنا منشأ بعض الكلمات التي تعجز النظرية السابقة عن شرح منشئها. ومع كل هذا فأنها نظرية ناقصة وغامضة .

اما نقصها فلأنها لاتبين منشأ الكلمات الكثيرة التي لايمكن ردها الى أصوات انفعالية.

وأما غموضها فلأنها لاتشرح لنا السر في ان تلك الأصوات الساذجة الانفعالية ، تحولت الى الفاظ او أصوات مقطعية .

فلهذين الأمرين انصرف عنها اللغويون، وسخر منها(مكس مولر) أيضاً .

خامساً : نظرية الأستعداد الفطري :

وهي النظرية التي جاء بها اللغوي الألماني (مكس مولر) ودعاها نظرية (دنج دونج) : Ding Dong

وخلاصة هذه النظرية ان الانسان مزود بفطرته بالقدرة على صوغ الألفاظ الكاملة كما أنه مطبوع على الرغبة في التعبير عن أغراضه بأية وسيلة من الوسائل،غير ان القدرة على النطق بالألفاظ لاتظهر آثارها الا عند الحاجة أو في الوقت المناسب .

وحينما سمى (مكس مولر) نظريته هذه (دنج دونج) انما كان يريد ان يشبه هذه القوة الفطرية بلولب الساعة الملتف في باطنها، ويشبه حوادث الزمن ببندول الساعة الذي يتحرك فيخرج بتحركه القوة الكامنة في الساعة التي ينطوي عليها اللولب،فالزمن ومقتضيات الأحوال هي التي تخرج هذه المقدرة من حيز القوة الى حيز الفعل. وكأن النفس البشرية مخزن ممتلىء بالألفاظ، ينفتح شيئاً فشيئاً بمفتاح الزمن ومقتضيات الحياة الواقعية.

ولعل الذي دعا (مكس موللر) الى وضع هذه النظرية ملاحظة الأطفال في حياتهم اليومية الحرة التي تدل على أنهم توافقون الى وضع أسماء للاشياء التي يرونها ولايعرفون لها أسماء،وانهم يبتكرون أسماء لم يسمعوها من قبل ارضاء لرغبتهم الفطرية فيالتكلم والتعبير عن أغراضهم. فاستنبط من ملاحظته ان الانسان مزود بتلك القوة التي تنشأ عنها الألفاظ .

وهذه النظرية لاتحل المشكلة فهناك أسئلة توجه الى صاحبها وهي: كيف ومتى زود الانسان بهذه الذخيرة اللغوية؟ وكيف انطوت نفسه على تلك الألفاظ الكاملة؟ واذا كان قد زود بفطرته بهذه الألفاظ، فلم اختلفت اللغات وتعددت اللهجات؟ فاننا نكاد نجزم بأن آثار القوى الفطرية لابد ان تكون متحدة الى حدّ ما.ثم كيف تسنى للانسان أن يخرج تلك الألفاظ من مكانها ، ويطلقها على المسميات المختلفة؟

فهذه النظرية تنقل الباحث من مشكلة الى مشكلات أخرى أعمق منها . وأشد غموضاً ولبسا.

وربما كان من أبرز عيوبها أنها تفترض ظهور الكلمة أو الكلمات الأولى لدى الانسان كاملة غير خاضعة لسنة التطور .

سادساً : نظرية الملاحظة :

صاحبها هو العالم الألماني (جيجر) . وقد برهن هذا العالم على أن أقدم ماأمكنه الوصول اليه من الأصوات اللغوية الأولى يعبر عن أعمال أو اشارات انسانية

ومن هذه الحقيقة استنبط ان تلك الأعمال والأشارات كانت لامحالة هي التي لفتت نظر الانسان الأول وأثارت اهتمامه، وانها كانت أول ماعرف الانسان عن أخيه الانسان، ولذا تمكنت من نفسه وحلت منها مكاناً فان مشاهدة الأنسان لغيره وهو متلبس بعمل من الأعمال الهامة أو متأثر بحال

انفعالية قاسية أثارت اقصى اهتمامه وجعلته يتأثر به تأثراً آلياً بطريق المحاكاة العكسية فتظهر على وجهه علامات التأثر نفسها البادية على وجه زميله وقد حمله هذا الانتباه الى العمل وملاحظته أخاه وهو يعمل على ان تصدر منه اشارة تلقائية او صوت ساذج معبر عن هذه الملاحظة . وعلى مرّ الأيام وبتكرار التجارب المتشابهة تطورت الأصوات الى كلمات واستغنى عن الاشارات كلها أو بعضها على الأقل .

وقد أقبل (جيجر) على كثير من الكلمات المستعملة في اللغات الأوربية وارجعها الى اصول (اغريقية — سنسكريتية) تدل على عمل من اعمال الانسان . مثال ذلك:(الأصل الاغريقي الذي معناه :الكشط أو السلخ ، اشتقت منه كلمات معانيها: الجلد والخشب والشجر ،وهنا نرى العلاقة واضحة بين هذه الفروع وأصلها. فأن الجلد هو مايسلخ ، والخشب شجر كشط لحاؤه ، والشجر مايكشط ليؤخذ منه الخشب .

ومما قد يؤيد هذا المذهب ان جميع أسماء الالات تقريباً مشتقة من كلمات تدل على أعمال انسانية. ونحن نرى هذه الحقيقة ماثلة في لغتنا العربية ، فلدينا مثلا: المنشار والمفتاح والمقراض والمقص والمخرز ، وكلها مشتقات من أصول يدل كل واحد منها على عمل من أعمال الانسان .

ومع أن وضع هذه النظرية يعد خطوة أخرى في سبيل حل مشكلة نشأة اللغة الأنسانية فأنها لم تستطع أن توضح لنا باسلوب مفهوم معقول كيف وضعت تلك الأصول العامة الأولى التي يقول صاحب النظرية انها تتعلق بأعمال الانسان أو اشاراته والتي يعدها الكلمات الأولى التي اشتقت منها غيرها من الكلمات ، على أنه من المتعذر ارجاع جميع الكلمات التي تتكون منها اللغات كلها الى تلك الأصول العامة .

سابعاً : نظرية التطور اللغوي :

وقد تأثر واضعو هذه النظرية بنظرية التطور العام التي جاء بها (دارون) وحاول ان يبرهن على أثرها في جميع النواحي بصورة عامة ، وفي حياة الفرد والنوع الانساني بصورة خاصة .

وقد أدت دراسة النمو اللغوي عند الطفل الى ادعاء أصحاب هذه النظرية بأن هذا النمو يشبه تطور لغة النوع الانساني وهم يزعمون ان لغة الانسان الأول سلكت مراحل فطرية متعددة متمشية مع مراحل نموه العقلي وهذه المراحل هي :

١ ــ مرحلة الأصوات الساذجة الانبعاثية التي صدرت عن الانسان في العصور الأولى ، حين كانت أعضاء النطق لديه غير ناضجة ، وميوله ورغباته غير محددة .

وانا نلاحظ نظير هذه المرحلة في الطفل حين تصدر عنه في أول عهده بالنطق بعض الأصوات المبهمة، لايفهم منها في كثير من الأحيان رغبة ولاغرض معين .

٢ ــ مرحلة الأصوات المكيفة المنبئة عن الأغراض والرغبات المصحوبة بالاشارات المتنوعة التي تساعد الأصوات مساعدة فطرية في الابانة عن الأغراض. وقد ساعد على هذا التطور في الأصوات وتكيفها نمو أعضاء النطق من جهة ، ونمو الاحساس والشعور الذاتي لدى الانسان من جهة أخرى .

والأصوات المكيفة هي المتنوعة . لاختلافها في الشدة والرخاوة والجهر والهمس . وغير ذلك ..

وتناظر هذه المرحلة في نمو الطفل اللغوي ، تلك المرحلة التي يصل اليها في أواخر السنة الأولى من حياته ، وذلك حين تصدر عنه أصوات مكيّفة مصحوبة باشارات منبئة عن أغراضه .

وفي هذه المرحلة من مراحل النمو اللغوي عند الانسان لم يكن هناك فرق بين أصوات الانسان واصوات الحيوان الدالة على شعوره بالخوف أو الحنين او النفور أو الرضا او القلق والاضطراب، وعلى شعوره بالحاجة الى المعونة ، فهو بهذه الأصوات يعبر عن شعوره ويستغيث بغيره من بني جنسه.

٣ ــ مرحلة المقاطع : وفيها انتقلت لغة الانسان من أصوات غير محددة المعالم .الى اصوات محددة في صورة مقاطع قصيرة مستنبطة من أصوات الأشياء او الظواهر الطبيعية أو على الأقل متأثرة بها الى حد بعيد .

ويبدأ الطفل مرحلة تناظر هذه المرحلة في الشهور الأولى من السنة الثانية ، وذلك حين ينطق بمقاطع متكررة يطلب بها مايريد أو يدل بها على أشياء معينة ، متأثراً في ذلك بما يسمعه مما حوله من الحيوانات أو ممن يرى في محيطه من الناس. ولايزال يكرر هذه المقاطع حتى تنطبع في نفسه. وتتكون منها لغته البدائية، وكثير من الأطفال يطلقون في هذه السن كلمة (هَوْ هَوْ) على الكلب، وكذلك (نَوْ نَوْ) على القط، (تكْ تكْ) على الساعة وغير ذلك .

٤ ــ مرحلة الكلمات المكونة من المقاطع : وفي هذه المرحلة تتكون من المقاطع التي سبق الحديث عنها الكلمات أو الأصول العامة التي استعملها الانسان الأول لقضاء حاجاته،والتعبير عن أغراضه ورغباته . ومن هذه الأصول الأولى اشتق الأنسان كثيراً من الفروع وبالتأليف بين هذه الفروع وتلك الأصول اكتمل تكوين اللغة الفطرية .

وقد وصل الانسان الى هذه المرحلة حين أكتمل عقله، ونضجت أعضاؤه الصوتية ، واتسع نطاق حياته الاجتماعية وكثرت رغباته واشتدت حاجته الى التفاهم مع غيره .

ويوازي هذه المرحلة عند الطفل تلك المرحلة التي يستطيع فيها التكلم كما يتكلم غيره ممن يحيطون به،ويتألف معجمه اللغوي من الكلمات الشائعة في بيئته، واللازمة للتعبير عن أغراضه.

٥ ـ مرحلة الوضع والاصطلاح : وهذه آخر مرحلة من مراحل النمو اللغوي وهي وان لم تكن مرحلة فطرية فأنها تقوم على أساس فطري، وذلك هو حاجة الانسان الملحة الى الاحتكاك ببيئته والقبض على ناصيتها ومسايرة اللغة التي يستخدمها لتفكيره وعقله ومشاهداته التي يتسع نطاقها على مر الأيام وكثرة التجارب وتشعب دروب الحياة.

وفي هذه المرحلة وضعت المصطلحات العلمية وابتكرت الأسماء الدالة على المسميات المستحدثة ولاتزال اللغة تنمو باطراد ولايزال عدد مفرداتها يزداد كلما أوغل الانسان في التحضر وازداد نموه الفكري ازدياداً لا يظهر أنه سيقف عند حد .

ويوازي هذه المرحلة، مرحلة النمو اللغوي، عند الطفل عندما يذهب الى المدرسة، ويدرس العلوم والفنون ويتعلم بعض المصطلحات العلمية والفنية المختلفة .

هذا هو مذهب التطور اللغوي في نشأة اللغة الانسانية ، ويمتاز بعدّة أمور :

الأول : أنّه يخضع نشأة اللغة وتطورها الى سنّة التطور العام شأنها في ذلك شأن كل كائن حي، ينشأ صغيراً ساذجاً ثم ينمو شيئاً فشيئاً، بحكم طبيعته والبيئة التي ينشأ فيها . وما اللغة الا ظاهرة أجتماعية تخضع لما تخضع له الظواهر الاجتماعية من عوامل التطور .

الثاني : أنّه يشرح لنا السرّ في نمو اللغة من حيث متنها واساليبها، ويعزو ذلك الى سلوك الانسان مسلك التقدم والرقي في جميع مقومات حياته الخاصة وظروفه الاجتماعية، والى حاجته الماسة الى تنمية لغته

لتساير حياته ولتسعفه حين يريد التعبير عن أفكاره او رغباتــه المتزايدة على الدوام .

الثالث : أنه لايمنع أن يكون هناك أكثر من عامل واحد في نشأة اللغة وتطورها فمن الجائز، بل يكاد يكون من المحقق ـ في نظر أصحاب هذا المذهب ـ أن يكون الأنسان قد تأثر في اصدار الأصوات الساذجة اوالمكيفة بما يسمع من أصوات الحيوان أو الظواهر الطبيعية. وان بعض تلك الأصوات كان تعبيراً تلقائياً عن آلامه ورغباته وانفعالاته وعواطفه، هذا الى أن هذا المذهب لاينكر أثر الاشتقاق والوضع في تنميـة متن اللغة وتوسيع نطاقها .

تلك هي أشهر المذاهب التي ابتكرت لتفسير نشأة اللغة الانسانية (*)

(*) المدخل الى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب ١٠٩- ١٢٢.
وينظر أيضاً في نشأة اللغة:
- علم اللغة لعلي عبد الواحد وافي ٧٤-٩٧.
- علم اللغة العام لتوفيق محمد شاهين ٤٩-٦٨
- دلالة الألفاظ لابراهيم أنيس ١٣-٣٧
- فقه اللغة العربية لكاصد الزيدي ٣١- ٥٦
- اللغة لفندريس ٢٩-٤٢
- لغات البشر لماريوباي ١٧-٢٤
- الدراسات اللغوية عند العرب لمحمد حسين آل ياسين : ٤٤٣- ٤٥٣

نشأة اللغة عند الطفل

مما لاشك فيه أن التكلم أمر مكتسب وليس للوراثة أي أثر مباشر أو غير مباشر على تعلم الأطفال لغة الاباء، ولو فطر الإنسان على التكلم لما تعددت اللغات ولما وجدت اليوم أكثر من الف وخمسمائة لغة، ولكن لابد أن يجيب علم اللغة على أسئلة مازالت تحتاج الى الإجابة عليها مثل: كيف يتعلم الطفل اللغة ؟ وهل يتعلمها دفعة واحدة أو على دفعات ؟وهل هناك تفاوت لدى الأطفال في تعلم اللغة ؟ وهل يستطيع الطفل أن يدرك دلالة الألفاظ التي يتعلمها ويكتسبها سواء من أهله،أي: من بيئته الضيقة، أو من البيئة الأوسع والأشمل كبيئة المدرسة والحارة ....الخ ؟

وما أثر ثقافة الوالدين على سرعة تعلم الطفل اللغة ؟

وهناك عشرات الأسئلة تنتظر الإجابة عليها . وفي الحقيقة نشير الى أن أكتساب الطفل للغة يكون مرتبطاً بالأم في الأيام والشهور الأولى من حياة الطفل فالأم هي التي تناغي طفلها وتدربه على الأصوات اللغوية وتصوب له حتى يستوي لسانه وينطق اللفظ نطقاً صحيحاً كما تعارف عليه أفراد البيئة.

ولقد ورد في كتاب جسبرسن (١) أن الحروف الأولى التي ينطقها الطفل هي الحروف الشفوية مثل الباء والميم . وذلك لأن الطفل يقوم في بداية الأمر بتمرين عضلاته الشفوية قبل غيرها ونحن نعلم أن هذه العضلات الشفوية هي وسيلة الى الحياة حيث بوساطة شفتيه يرضع ثدي أمه ويمص حليبها، وحتى اذا لم يرضع من ثدي الأم فأن حليب الزجاجة أو مايسمى «بالرضاعة»يمتصه الطفل عن طريق استعمال شفتيه، ولذا فأن أسهل الحروف نطقاً عنده تكون الحروف الشفوية لأنه قد تمرن على استعمال شفتيه في الرضاعة ونجد أن أول الألفاظ التي ينطقها الطفل (بابا — ماما) في وقت مبكر هذا بالاضافة الى تمرين الوالدين للطفل على نطق هذه الألفاظ فيسعد

(1) Ott.Jespersen:Lang Vage its Nature, development and Origin

الوالدان عندما يسمعان طفلهما ينطق (بابا)، (ماما) نظراً للصلة القريبة التي تربطهما به .

وفي الحقيقة أن هناك خلافاً بين علماء الوراثة والبيئة مازال قائماً حول أثر البيئة أو الوراثة في تعلم الطفل، قد نجد بعض علماء الوراثة يرجعون عملية التعلم الى طائفة من الغرائز الموروثة أو بجملة من المنعكسات الشرطية المكتسبة، الا ان الجدال بين أصحاب الوراثة ودعاة البيئة لن ينتهي الى نتيجة حاسمة، مادمنا نجهل الكثير من الأمور عن مراحل نمو الجنين ووظائف الأعضاء وارتباط بعضها ببعض .

والشيء المؤكد أن نمو اللغة عند الطفل مشروط بما يأتي :

١ ــ اكتمال الأجهزة العضوية ونضج بعض الأنسجة العصبية والعضلية.

٢ ــ تدريب أعضاء النطق عند اكتمال نموها عن طريق التعلم (١).

٣ ــ أما الأستاذ فيرث فقد رأى ان النمو اللغوي للطفل يمر بالمراحل الاتية(٢):

١ ــ مرحلة المهد: وهي منذ ولادة الطفل الى ما قبل استطاعته الجلوس .

٢ ــ مرحلة الجلوس: وفي هذه المرحلة يكون قد بدأ الكلام .

٣ ــ مرحلة الحبو: وفي هذه المرحلة يتسع عالم الطفل شيئاً ما لأن الحبو ينقله الى ابعد من مجلسه.

٤ ــ مرحلة السير بمساعدة: وفي هذه المرحلة ينتقل الطفل الى عالم أرحب

٥ ــ مرحلة السير لوحده في حدود المنزل .

٦ ــ مرحلة السير خارج المنزل .

٧ ــ مرحلة الذهاب الى المدرسة: وهذه المرحلة من أهم المراحل بالنسبة للغة .

---

(١) محاضرات في علم النفس اللغوي. د. حنفي بن عيسى .١٤٠.
(٢) اللغة والمجتمع ــ د. السعران ٤٠

أما العالم الدنمركي (جسبرسن) (١) فقد رأى التقسيم الثلاثي لدراسة نمو اللغة عند الطفل .

١ ــ مرحلة الصياح .
٢ ــ مرحلة البأبأة .
٣ ــ مرحلة الكلام أو التكلم (٢).

وفي الحقيقة نرى ان تقسيم جسبرسن أصلح للدراسة وللوصول الى نتائج حول تعلم الطفل اللغة من دراسة تقسيمات فيرث ، وسوف نبدأ بدراسة المرحلة الأولى وهي فترة الصياح عند الطفل وتمتد هذه المرحلة من مولد الطفل حتى الأسبوع الثالث وقد تستمر الى الأسبوع السابع أو الثامن .

ان الصرخة الأولى التي يطلقها الطفل ساعة ولادته هي أول بادرة تدل على قدرته على التصويت وفي الحقيقة أن هذه الصرخة ليست كلاماً ولكن علماء النفس والفلاسفة والآباء قد حملوا هذه الصرخة أكثر مما تحتمل اذ راح كل واحد منهم يعزوها الى معنى من المعاني وهذه المعاني كلها من قبيل الافتراضات والتخمينات ولكن هذه الصرخة أثبتت أن هذا الوليد قد برز الى حيز الوجود وقد زوده الله بجهاز الكلام ،وفي الحقيقة أن جهاز التنفس هو جهاز ضروري للتكلم فيما بعد اذ ان الكلام في بدايته هو عملية شهيق وزفير وان الرئتين هما الجهاز الأساسي في عملية الكلام بالاضافة الى الأجهزة الأخرى مثل : الحنجرة والمزمار والوتران الصوتيان واللسان والفم والأسنان فهذه كلها تنمو مع نمو الطفل ولكن الجهاز الأول الذي يبدأ به حياته هو جهاز التنفس والذي بوساطته تستمر الحياة ومعه يكتمل تعلم الطفل اللغة.

ومن المؤكد أن الصرخات التي يصدرها الأطفال كلها واحدة ولاتستطيع أن تميز صرخة عن صرخة ولانعرف أن هذه الصرخة تدل على الجوع أو

---

(١) جسبرسن ١٠٣ المرجع السابق.
(٢) انظر ــ اللغة والمجتمع ــ د. السعران ٤١.

العطش أو الألم الا لدى الأم التي تعودت على صراخات طفلها وهي الوحيدة التي تعطي لكل صرخة معناها الذي اكتسبته من الممارسة اثناء معاشرتها لطفلها. اذن هذه الصرخات هي أفعال منعكسة غير ارادية لأن الطفل لايريد التعبير عن شيء معين على وجه التحديد خاصة في الأشهر الأولى من حياته ولكن الأم فقط كما ذكرت هي التي تكسب هذه الصرخات معاني محددة لديها .

٢ — فترة المناغاة أو البأبأة :

في هذه المرحلة ينتقل الطفل من الصراخ الذي لامعنى له الا لدى أمه وابيه الى مرحلة جديدة تسمى مرحلة المناغاة، ففي هذه المرحلة يصبح تعلم الطفل أمراً ارادياً حيث يبدأ الأهل بتعليم الطفل بعض المقاطع الصوتية وخاصة الأصوات الشفوية ،وفي هذه المرحلة يبدأ الطفل يردد هذه الحروف دون تمييز ودون مراعاة الا رغبة في التكرار واللهو .وفي هذه المرحلة يبدأ الطفل في تمرين جهازه الصوتي على النطق ويعوده على التلفظ الى ان يتمكن ذلك الجهاز من اداء وظيفته على الوجه الصحيح .

ونعلم أن الطفل لايعيش بمعزل عن الناس ولايظل محصوراً في الاستماع الى صوته فقط ولكننا نجد الطفل بعد مرور شهرين أو أكثر على ولادته يسمع بعض الأصوات من حوله وخاصة الأصوات التي تصدرها الأم أو المربية ، وهنا يبدأ الطفل يدرك الشبه بين صوته الذي يصدره والصوت الذي يسمعه من أمه ومن حوله ، ويكون قد وصل في هذه المرحلة الى نهاية السنة الأولى من عمره (١) .

وكما ذكرت فان الحروف الأولى التي يبدأ الطفل النطق بها هي الحروف الشفوية أو التي تصدر عن الشفة ، ونستطيع أن نقول أنه يبدأ بالصوائت أي الحروف المتحركة ، أما بالنسبة للحروف الصامتة وكذلك الحروف التي تخرج

---

(١) انظر — اللغة والمجتمع — د. السعران ٤٤.

من التجويف الحلقي للجهاز الصوتي فأنها قد تتأخر الى مرحلة تالية من عمر الطفل .

ويرى بعض الباحثين ان نسبة ظهور الحروف الصائتة الى الحروف الصامتة تصلح كدليل على نمو التعبير اللغوي لدى الأطفال الرضع ممن لايتجاوز عمرهم شهراً ، وهي خمسة الى واحد (١).

وقد أهتم بعض علماء اللغة مثل (جاكوبس) وبعض علماء النفس مثل (ايروين) بموضوع التطور الصوتي لدى الطفل في الأشهر الثلاثين الأولى من حياته وقد أحصى (ايروين) عدد الحروف الصائتة فوجد أنها تبلغ اثني عشر صوتاً وعلى سبيل المقابلة تشير الى ان لغة الراشدين لاتزيد فيها الحروف الصائتة على ثلاثة أحرف أو ستة بتعبير أصح كما ذكر ابن جني حيث يقول: « أمّا ما في أيدي الناس في ظاهر الأمر فثلاث وهي الضمة والكسرة والفتحة ومحصولها على الحقيقة ست،وذلك أن بين كل حركتين حركة»(٢)

وتعتبر مرحلة المناغاة هي في حد ذاتها خطوة نحو تعلم الطفل اللغة اذ في هذه المرحلة يبدأ الطفل فيتمرين جهازه الصوتي والسمعي على سماع الأصوات وعلى النطق بها وتعتبر هذه المرحلة كما ذكرت الخطوات الأولى نحو تعلم لغة الأمهات والاباء ويبدأ الطفل يعود جهاز النطق على ان يكون طيعاً سلساً من أجل استعماله في الفاظ جديدة سيقبل الطفل على تعلمها.

٣ ــ مرحلة الكلام :

وتنقسم هذه إلى مرحلتين مرحلة التقليد والمحاكاة والمرحلة الثانية تعلم الطفل الألفاظ والمفردات والجمل والتراكيب .

أما مرحلة التقليد،ففي هذه الفترة يقلد الطفل من حوله تقليداً غير محكم ونجاده يحاول تقليد أمه وابيه ومن حوله ولكنه لايستطيع ذلك بسهولة ولا

(١) محاضرات في علم النفس اللغوي ــ د. حنفي بن عيسى ١٤٦.

(٢) الخصائص ٢/١٢٠ ــ ١٢١.

يلتزم بأصل اللفظة التي يريد تقليدها وفي هذه المرحلة نجد ان كلام الطفل لايكون مفهوماً تماماً الا لدى أفراد اسرته المقربين فيعبر الطفل بحرف (م) بدلا من (ماء) أو (ميه) و(آية) بدلا من (كوب أو كباية) و (أحد) بدلا من (أحمد) وهكذا اذن كما قلت في هذه الفترة تبدأ الأم بتصويب الألفاظ لطفلها وتعويده النطق السليم واخراج الحروف من مخارجها وخاصة الحروف السهلة المخرج مثل الحروف الشفوية واللسانية.

وفي هذه المرحلة يتضح أثر الأسرة واثر الأم بالذات في توجيه الطفل وتدريبه وتعليمه وهذا يعود أيضاً على ثقافة أفراد الأسرة مثل الأم والأب والأخوة ومن يعيش مع الطفل .

مرحلة تعلم الألفاظ والمفردات والجمل:

بعد المرحلة السابقة، وهي تعتبر فترة استعداد وتهيؤ لدى الطفل، ينتقل الطفل الى المرحلة اللغوية التامة والتي يبدأ الطفل بها تعلم الألفاظ والمفردات ويحاول ان يركب جملة ولو كانت سهلة مكونة من لفظتين وفي الواقع نجد الطفل ينطق بعض المفردات التي تتكون من مقطع صوتي واحد مضاعف مثل (ماما، بابا، تاتا) وهكذا،ولقد لاحظ العلماء أن سرعة نمو اللغة عند الطفل تزداد مابين الثانية والثامنة من العمر، ثم تعود كما كانت بطيئة الى ان يبلغ الطفل الرشد وفي هذه الفترة من عمر الطفل أي من الثانية الى الثامنة يمر الطفل بمراحل هي أنه يخرج الى الشارع ويلتقط من أقرانه الألفاظ والعبارات الى ان يذهب الى المدرسة أو الى الروضة اذا كان في البيئة التي يعيش فيها روضة للاطفال دون سن السادسة وعندما يبلغ السادسة من عمره ينخرط في طور الدراسة وينتقل الى مرحلة جديدة في حياته وهي مرحلة المدرسة ففي هذه المرحلة يبدأ الطفل في اثراء حصيلته اللغوية وهنا يبدأ أثر الأسرة في المتابعة والتحصيل، وهنا يظهر أثر الثقافة الفردية فإذا كانت الأم مثقفة متعلمة فهي تستطيع متابعة طفلها بل واضافة معلومات جديدة على معلوماته التي يحصل

عليها من المدرسة واذا كان الطفل يعيش في جو ثقافي علمي فأنه يلتقط من والديه واخوانه الذين يكبرونه سناً الفاظاً وعبارات وصيغاً وجملا لايستطيع أن يعيها طفل آخر يعيش في بيئة معدومة الثقافة والعلم وهنا يظهر التفاوت لدى الطفل من حيث تعلم المفردات والألفاظ اذ من الطبيعي ان تكون محصلة الطفل الذي يعيش في بيئة ثقافية أكثر من محصلة الطفل الذي يعيش في بيئة فقيرة معدمة ثقافياً وان كانت مترفة تعيش في رخاء من العيش ، واول مايتعلم الطفل من المفردات الأسماء وخاصة أسماء الأشخاص الذين يحيطون به،ثم يلي ذلك الضمائر والأفعال ، حتى اذا بلغ الطفل ثلاثين شهراً تناقصت الأسماء وتزايدت الأفعال والضمائر وبعض الظروف وأحرف الجر(١) ويعزى تعلم الطفل الأسماء أولا نظراً للنفعية من جهة وعدم التجريد في الأسماء من جهة أخرى كما هو في الأفعال .

تركيب الجمل :

لايستطيع الطفل أن يؤلف جملة الا بعد أن يحصل على حد أدنى من الألفاظ ، وقدره بعض العلماء بنحو مائة أو مائتين من الألفاظ ،والذخيرة اللغوية لدى الطفل لاتقاس بعدد المفردات التي يعرفها فحسب بل بحسن استعماله لها، ولذلك فلابد من معرفة مقدرة الطفل على تركيب الجمل. وهنا نوضح أن وحدة الكلام عند الطفل ليست الكلمة بل الجملة وهذا الأمر يصدق على الطفل الصغير والكبير معاً، فالأول لايستطيع ان يتصور مفهوم الكلمة، وكيف انها تحيل الى المدركات بل هو يتكلم لا لشيء الا ليعبر عن حاجات ملحة أو يطلب مساعدة فهو عندما يستعمل كلمة واحدة انما يعني بها جملة كاملة .

ونقسم مراحل تكوين الجمل لدى الأطفال الذين لم يدخلوا المدرسة بعد الى ثلاث مراحل (٢):

(١) ارتقاء اللغة عند الطفل من الميلاد الى السادسة د. صالح الشماع : ١٢٤ .

(٢) محاضرات في علم النفس اللغوي: د. حنفي بن عيسى : ١٥٨

أ ــ مرحلة الكلمة القائمة مقام الجملة (من السنة الأولى الى الثانية تقريباً).
فقد يعني بقوله : ماما تعالي ياماما .

ب ــ مرحلة الجملة الناقصة (من الثانية الى الرابعة) والمقصود بالجملة الناقصة هي الكلمات (اثنتان أو أكثر) الموضوعة بعضها بجانب بعض من غير ان ينتج عنها جملة تامة .

جـ ــ مرحلة الجملة التامة (من السنة الرابعة) فقد لوحظ ان الجمل يتناقص عددها ابتداء من السنة الثالثة أو تحل محلها تدريجياً الجمل الأكثر تعقيداً، ونقصد بها المشتملة على النعت واسم الموصول والظرف وما الى ذلك. ونود ان نشير الى ان تحديد المراحل بالأشهر او السنوات ماهو الا أمر تقريبي نسبي لاينطبق على جميع الأطفال .(*)

(*) العلاقة بين اللغة والفكر : ٧٦-٨٤ .
وينظر : نشأة اللغة عند الأنسان والطفل لعلي عبد الواحد وافي .

اللغة المشتركة واللهجات

من المسلم به عند اللغويين، أن معظم اللغات الأدبية في العالم، توجد بجانبها مجموعات من اللهجات المحلية، والاجتماعية واللغات الخاصة. هذه اللغات وتلك اللهجات تسير كلها جنباً الى جنب لافي الأقاليم وحدها. بل في داخل المدن الكبرى أيضاً؛ ففي جميع العواصم الكبرى الراقية نجد لغات الصالونات الأدبية، ولغات العلماء المثقفين وغيرهم، كما نجد لغات العمال والعاميات الخاصة التي تتكلم في حواشي المدينة. وقد تختلف هذه اللغات بعضها عن بعض، الى حد أنه قد يعرف الإنسان أحداها، دون أن يفهم الأخرى.

على انه من الملاحظ كذلك، ان الإنسان قلما يعيش محصوراً في مجموعة اجتماعية واحدة، ولذلك كان من النادر ان تبقى احدى اللغات دون ان تنفذ الى مجموعات اجتماعية مختلفة. ومن المشاهد ان كل فرد يحمل لغة مجموعته، ويؤثر بها في لغة المجموعة المجاورة التي يدخل فيها، أويتأثر بلغة هذه المجموعة.

ولتقريب ذلك الى الأذهان، يضرب لنا اللغويون (١) مثلا بأخوين يعيشان معاً، ولكنهما يمارسان مهنتين مختلفتين، كل واحد منهما يحتك في موقعه بمجموعات مختلفة، ويأخذ عن أفرادها اللغة بالضرورة مع عادات التفكير والأعمال وآلات المهنة؛ وبذلك ينشأ في كل يوم بين الأخوين اختلاف لغوي يؤدي بهما الى التحقق من اختلاف لغتيهما بعض الشيء اذا لم يرأحدهما أخاه زمناً طويلا. ولكن هذا الاختلاف يزول في كل مساء، بفضل عودة الصلة بينهما من جديد.

ان هذين الأخوين يخضعان في الواقع لتيارين متعارضين يتبادلان التأثير فيهما، ومع أنهما لاينفصل احدهما عن الاخر الا بضع ساعات من النهار فإنهما يجدان اللغة التي يتفاهمان بها في حاجة دائمة الى التطهير من عناصر التفرقة، التي تفد عليها من الخارج.

---

(١) انظر : اللغة لفندريس ٣٠٧

وهذان الميلان المتعارضان اللذان يوجهان اللغة في طريقين متباينين هما عامل« التفريق اللغوي» وعامل «التوحيد اللغوي». فالتفريق يؤدي إلى انفصالات تزداد تعدداً مع الزمن، وتكون النتيجة : تفتت اللغة تفتتاً يزداد بازدياد استعمالها ؛ اذ تضطرها الى هذا التفتت مجاميع الأفراد ، التي تترك وشأنها دون احتكاك بينها. غير ان هذا التفريق اللغوي لايصل اطلاقاً الى تمامه لأن سبباً حيوياً يقف في طريقه، ويعمل دائماً على مناهضته،الا وهو عامل التوحيد الذي يعيد التوازن اللغوي .

ومن صراع هذين العاملين: عامل التفريق ، وعامل التوحيد تنتج أنواع اللغات المختلفة لدى الشعب الواحد من لغات خاصة ، واجتماعية ، ومحلية. ولهجات اقليمية ولغة مشتركة .

وتقوم اللغات المشتركة دائماً على أساس لغة موجودة تتخذ لغة مشتركة من جانب أفراد وجماعات تختلف لديهم صور التكلم (١) والظروف التأريخية ،هي التي تفسر لنا تغلب هذه اللغة التي اتخذت أساساً وتعلل انتشارها في جميع مناطق التكلم المحلي المشتركة ؛ فهي دائماً لغة وسطى تقوم بين لغات أولئك الذين يتكلمونها جميعاً .

هذه هي السمة الأساسية لكل لغة مشتركة ، واذا أتيح لها أن تنتشر في قطر من الاقطار أو في دولة من الدول أخذت العناصر المشتركة التي تدخل في تكوينها في الازدياد . ويؤدي ذلك بالضرورة الى النزول بمستواها ، كلما ازدادت انتشاراً، وازدادت العناصر التي تستعيرها من صور اللهجات المحلية .

أما عوامل قيام هذه اللغات المشتركة فترجع الى التفوق السياسي،والديني والاقتصادي،والأدبي،والاجتماعي ، ونضرب على ذلك مثلا من اللغة العربية فقد انقسمت اللغة العربية منذ أقدم عصورها الى لهجات كثيرة تختلف فيما بينها في كثير من الظواهر الصوتية والدلالية كما تختلف في مفرداتها

(١) انظر : اللغة لفندريس ٣٢٨

وقواعدها تبعاً للقبائل المختلفة التي تتحد ظروفها الطبيعية والاجتماعية أو تتباين هذه الظروف . ثم أتيحت لهذه اللهجات العربية فرص كثيرة للاحتكاك، بسبب التجارة تارة وتجاور القبائل تارة أخرى، وتنقلها في طلب الكلأ والمرعى، أو تجمعها في مواسم الحج ، والمعاملات التجارية في الاسواق واللقاء في الحروب الأهلية والغزوات وأيام العرب وما اليها . وعندما اشتبكت هذه اللهجات في صراع لغوي كان النصر فيها للغة مشتركة استمدت أبرز خصائصها من لهجة قريش التي طغت على سائر اللهجات الأخرى ؛ فأصبحت لغة الأدب بشعره ونثره ، ولغة الدين، ولغة السياسة والاقتصاد .

أما العوامل التي ساعدت لغة قريش، على ان تتبوأ ــ دون غيرها ــ هذه المكانة فهي أن قريشاً كانت تتمتع بمنزلة دينية خطيرة قبل الإسلام ؛ لأن القرشيين كانوا جيران بيت الله الحرام وسدنته، كما كانت القبائل العربية على اختلاف منازلها تحج الى البيت، وتقدم القرابين الى اصنامهم واوثانهم المبثوثة حول الكعبة.

والى جانب هذا العامل الديني. كان القرشيون يتمتعون بسلطان اقتصادي كبير؛ لأنهم كانوا من أمهر العناصر العربية، وانشطها ، وفي يدهم جزء كبير من تجارة الجزيرة العربية،ينتقلون في بقاعها، من سوريا شمالا الى أقاصي اليمن جنوباً: فهم في الشتاء يرتحلون الى اليمن .وفي الصيف يذهبون الى الشام، ولايكادون يستقرون في مكان الا بمقدار الزمن الذي يحدده لهم البيع والشراء. وقد أتاح لهم هذا النشاط التجاري ثراءً كبيراً؛ ومن ملك المال واحتضن الدين، فقد تحقق له سلطان سياسي قوي؛ ولهذا كله كانت اللغة القرشية، أقوى اللغات أثراً في تكوين اللغة العربية المشتركة أو العربية الفصحى .

واذا كانت الأقاليم تختلف فيما بينها في لهجاتها ؛ فأن طبقات الناس التي تعيش في داخل كل إقليم ، تختلف هي أيضاً في لغاتها؛ فإن الطبقة الغنية

ذات الجاه والنفوذ المادي والسيطرة السياسية، تخالف في كلامها دون شك، طبقات العمال والجنود والتجار والزراع، وغيرها من الطبقات الأخرى. كما أن الفارق بين الطبقات الاجتماعية في الثقافة والتربية، والتفكير ومستوى المعيشة، والعادات والتقاليد. كل هذا وغيره يترك أثراً كبيراً في لهجات هذه الطبقات الاجتماعية المتفاوتة، في طرق التعبير واستعمال المفردات ودلالتها، وتكوين الجمل، وماالى ذلك من الظواهر اللغوية المختلفة.

وهذه اللهجات الاجتماعية (١)، لاتتميز تميزاً واضحاً الا في المدن الكبيرة حيث يتكاثف السكان، ويزدحم الناس، وتنشط الحركات الاقتصادية وتعدد المهن والحرف.

وسواء أكانت اللهجات محلية أم اجتماعية، فإنها تمت بصلة وثيقة للغة المشتركة. وقد يكون كلا النوعين متشعباً عن اللغة الأصلية يستمد منها اصول مفرداته وقواعده وتراكيبه، غير ان السبب الرئيسي لنشأة اللهجات المحلية يرجع الى اختلاف الأقاليم وما يحيط بكل أقليم من ظروف وخصائص تأريخية وجغرافية وسياسية، على حين ان السبب الأساسي لنشأة اللهجات الاجتماعية يرجع الى اختلاف الناس في الإقليم الواحد وما يكتنف كل طبقة من شؤون في شتى مظاهر الحياة (*).

---

(١) انظر: علم اللغة لعلي عبد الواحد وافي ١٧٣

(*) المدخل الى علم اللغة لرمضان عبد الوهاب: ١٦٥ — ١٦٩

الصراع اللغوي

أسبابه ونتائجه

أصبح من المسلم به عند اللغويين، ان احتكاك اللغات ضرورة تأريخية وهذا الاحتكاك يؤدي الى تداخلها ان قليلا وان كثيراً ويكادون يقطعون بأن التطور الدائم للغة من اللغات وهي في معزل عن كل احتكاك وتأثر خارجي يعد أمراً مثالياً، لايكاد يتحقق؛ ذلك لأن الأثر البالغ الذي يقع على إحدى اللغات من لغات مجاورة لها، كثيراً مايلعب دوراً هاماً في التطور اللغوي ويترتب عليه نتائج بعيدة المدى الى درجة ان بعض العلماء يذهبون الى القول بأنه لاتوجد لغة متطورة لم تختلط بغيرها.

على ان الاحتكاك بين لغتين متجاورتين، لايحدث دائماً على وتيرة واحدة في كل الحالات؛ ذلك لأن قوة اللغات ليست واحدة ومن ثم اختلفت قدرتها على المقاومة؛ فالألمانية والفرنسية مثلا لغتان قويتان تستويان في القوة، وبينهما اختلافات لغوية كبيرة، فإذا ماتعرضت للمنافسة والاحتكاك كانت المنافسة بينهما تكاد تكون محصورة في الميدان الاقتصادي وحده ذلك ان الأنتصار الذي تناله احدى اللغتين يكون في ميدان المعاملة، أي في صميم الحياة نفسها، فإذا اتيح للالمانية ان تطرد الفرنسية من بعض القرى السويسرية أو اتيح للفرنسية ان تطرد الألمانية كان معنى ذلك ان سكان تلك القرى، كانت بأيديهم اداتان متساويتان في الصلاحية والقوة، فأختاروا من بينهما انفعهما لحاجات أعمالهم ولحياتهم اليومية، ويترتب على هذا نقل الحدود اللغوية بحسب الجهة التي تفد منها العلاقات الإقتصادية (١).

فالمصلحة العملية، هي وحدها الحكم في مثل هذه الحالات وهي التي تحكم لهذه اللغة أولتلك. وقد تبقى اللغتان متجاورتين زمناً طويلا، وهما في حالة تعادل. وللموقف السياسي أهميته الكبرى كذلك؛ فإن بعض الشعوب

---

(١) انظر: اللغة لفندريس ٣٤٩ - ٣٥٠

يتمسك بهذه اللغة دون تلك ويرخي لها عمدا عنان التفشي، مدفوعة بعاطفة وطنية، أو محاولة نيل استقلالها، أو نفوراً من دولة مجاورة لها .وهذا مشاهد في الأقطار البلقانية، وفي أيرلندة ، حيث تتجه حركة وطنية الى احياء اللغة القديمة للبلاد، تخلصاً من لغة اعدائهم الإنجليز. واللغة الفرنسية لم تنتشر يوماً في « الألزاس » ، بقدر ماكانت تتكلم زمن انضمام هذا الإقليم للإمبراطورية الألمانية ،أما حينما كانت مقاطعة الألزاس جزءاً من فرنسا،ولم تكن مضطرة الى ان تتخذ لغة بعينها،فلم يكن لديها باعث قوي يحملها على ترك لهجاتها الجرمانية المحلية .

والى جانب العوامل الاقتصادية والسياسية، هناك عامل عاطني له أثره في المحافظة على سلامة الكثير من اللغات وبقائها؛ وهو عامل «الهيبة» (١) . وكثيراً مايكون هذا العامل مستمداً من القيمة الذاتية للغة؛ فاليونانية مثلا، كانت تمثل ثقافة من أعرق الثقافات البشرية؛ ولذلك لم تستطع اللغة اللاتينية التغلب عليها، كما لم تستطع بعد ذلك اللغة التركية، مع أنها كانت لغة الفاتحين سياسياً وحربياً. وكذلك لم يتمكن الاحتلال التركي للشرق، خلال قرون عديدة ، من القضاء على اللغة العربية ، واحلال التركية محلها؛لأن التركية ليست بأية حال من الأحوال،من لغات الحضارات الكبيرة، بخلاف اليونانية والعربية .

هذه هي بعض أمثلة الصراع الذي يحدث بين لغتين كبيرتين ، فمالون الصراع الذي ينشأ بين لغة مشتركة ، تمثل مدنية منظمة تنظيماً قوياً ، ومجموعة من اللهجات المحلية ، لا وحدة لها ، ولا تناسق بينها ؟

تتمثل لنا هذه الحالة في موقف اللغتين : الفرنسية والبريتانية ، وهي اللغة الأصلية لمقاطعة «البريتون» في غربي فرنسا . فإن المنافسة في هذه الحالة ، تدور حول انضمام دائم ، لعدد كبير من عناصر إحدى اللغتين إلى الأخرى،

---

(١) انظر كذلك: اللغة لفندريس ٣٥٠

حتى ينتهي الحال بأن تفقد إحداهما معالمها اللغوية ؛ ذلك أن اللغة الفرنسية، توغلت في كل اللهجات البريتانية ؛ لأنها لغة الحضارة التي تحمل معها تياراً جارفاً من الكلمات الجديدة ، التي تمثل أشياء وأفكاراً وعادات جديدة ، كما ان الدين والآداب الفرنسية ، قد ملأت اللهجات البريتانية بالكلمات الفرنسية ، عن طريق كتب العبادة والتهذيب ، منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي ، وما زالت حتى الآن تطغى بمفرداتها ؛ لأن تعليم اللغة الفرنسية في المدارس البريتانية ، والخدمة العسكرية الإجبارية ، وغيرها من العوامل الاخرى ، قد جعلت غالبية أهل مقاطعة البريتون يتكلمون لغتين : البريتانية والفرنسية.

وكان التوغل قبل ذلك ، يقوم على نوع من التسرب غير المحسوس ، فكانت البريتانية تتلقى عن غير شعور منها ، عدداً من الكلمات الفرنسية ، أخذ يزداد يوماً بعد يوم ، غير أن البريتانيين كانوا وقتذاك يتكلمون لغتهم وحدها ، وإن دخلت فيها الفاظ فرنسية ؛ ذلك لأن الفوائد التي يمكن الحصول عليها من معرفة الفرنسية ، تفوق كثيراً تلك التي يمكن الحصول عليها من معرفة البريتانية وحدها ؛ لأن الفرنسية لغة برجوازية تستعمل دون سواها في مجمعات المدن ، وتغري بنات الريف بالتحدث بها ، كما تغريهن ثياب الطبقة الراقية بارتدائها ، ولا يخفى أن عقلية الشعوب ، تكاد تكون متقاربة في مثل هذه الحالات من التقليد . يضاف إلى هذا كله أن البريتانيين أصبحوا مرتبطين ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع البرجوازي ؛ فمنهم طبقة الموظفين في كثير من الأعمال الحكومية والأهلية ، ومقاطعتهم مزدحمة بالسائحين الفرنسيين والأجانب على السواء ، مما جعل التحدث بالفرنسية ، ميزة وضرورة في آن واحد ؛ لأنها تيسر لهم موارد رزقهم ، وتفتح الأبواب أمامهم ، وتعينهم على التفاهم مع غيرهم (١) .

وهكذا تغلبت الفرنسية على البريتانية ، وأصبحت لغة مشتركة ، بالنسبه للمقاطعة كلها ، وإن كانت البريتانية ، لا تزال متماسكة في بعض أرجاء

---

(١) انظر : اللغة لفندريس ٣٥٤

المقاطعة ، وبخاصة بين بعض الطوائف المعينة ، مثل صيادي السردين وعمال الملاحات ، وقاطعي الإردواز ، وتجار الخيول ، وغيرهم .

من هذا العرض ، نرى ان الصراع اللغوي ، هو وحده الذي يقضي على لغة من اللغات ، أو لهجة من اللهجات . ولا يمكن تحديد زمن هذا الصراع تحديداً تاماً ، الا إذا نظرنا إلى الظروف ، التي تحيط باللغة المقهورة ، وإلى مقدار ما فيها من حيوية وقوة مقاومة .

ويضع علماء اللغة لهذا الصراع مراحل ، تظهر في كل مرحلة منها .عوامل تساعد على انحلال اللغة المقهورة ، وتؤدي إلى القضاء عليها :

ففي المرحلة الأولى :

تطغى مفردات اللغة المنتصرة ، وتحل محل اللغة المقهورة شيئاً فشيئاً وتكثر هذه الكلمات أو تقل تبعاً للمقاومة التي تبديها اللغة المهزومة ؛ فاللغات البربرية لم تترك في اللغة العربية المنتصرة إلا كلمات قليلة ، وكذلك الحال في لغة بلاد الجال ، التي تغلبت عليها اللاتينية .

أما إذا كان الصراع بين اللغتين شديداً ، وطويل الأمد ، فإن اللغة المقهورة ، قد تحتفظ بمفردات كثيرة ، تدخل في اللغة الغالبة . مثال ذلك : ما حدث بين لغة الإنجليز السكسون بانجلترا ، ولغة الفاتحين من الفرنسيين النورمانديين ؛ إذ خرجت الإنجليزية المنتصرة في هذا الصراع ، وقد فقدت ما يقرب من نصف مفرداتها الأصلية ، واستبدلت به كلمات من اللغة النورماندية المغلوبة .

وفي المرحلة الثانية :

تتغير مخارج الأصوات ، ويقترب النطق بها ، من النطق بأصوات اللغة الجديدة شيئاً فشيئاً ، حتى تصبح على صورة تطابق أو تقارب الصورة التي هي عليها في اللغة المنتصرة ؛ وذلك بأن يتصرف المغلوب تصرف الغالب في النطق بالأصوات ، فتتسرب بذلك أصوات اللغة الغالبة إلى اللغة المغلوبة ، في

طريقة نطقها ، ونبرها ، ومخارجها ؛ فينطق أهل اللغة المغلوبة ألفاظهم الأصلية ، وما انتقل إلى لغتهم من كلمات دخيلة ، متخذين نفس المخارج ونفس الطريقة ، التي يسير عليها النطق في اللغة الغالبة . وهذه المرحلة تعد أخطر مراحل الصراع اللغوي ؛ إذ يزداد فيها انحلال اللغة المغلوبة ، ويشتد قربها من اللغة الغالبة .

وفي المرحلة الثالثة :

تفرض اللغة المنتصرة قواعدها وقوانينها اللغوية الخاصة بالجمل والتراكيب ؛ وبهذا تزول معالم اللغة المقهورة ، وحينئذ تبدأ اللغة المنتصرة ، في إحلال اخيلتها واستعاراتها ، ومعانيها المجازية ، محل الأخيلة والاستعارات والمعاني ، للغة القديمة ، التي تموت شيئاً فشيئاً .

إلا أن النصر لا يتم للغة من اللغات ، إلا بعد أمد طويل ، قد يصل أحياناً إلى أكثر من أربعة قرون ؛ فالرومان أخضعوا بلاد الجال في القرن الأول الميلادي ، ولكن لم تتم الغلبة للغة اللاتينية ، إلا في القرن الرابع .

وفي كل صراع لغوي ، لا تتم هذه المراحل دفعة واحدة ، ولا تختفي لهجة أو لغة ، الا وقد تركت بعض مفرداتها أو تراكيبها أو قواعدها ، أو أثرت بأي صورة من الصور ، في معاني المفردات للغة الجديدة ، وبخاصة إذا كانت اللغتان من فصيلة لغوية واحدة .

والخلاصة انه متى اجتمعت لغتان في صعيد واحد ، فإنه لا مفر إطلاقاً من أن تتأثر كل منهما بالأخرى ، سواء في ذلك أتغلبت إحداهما على الأخرى ، أم بقيت كل واحدة منهما بجوار أختها (١) .

على أن هذا التأثر يختلف في كمه وكيفه، ونواحي ظهوره ، ونتائجه ، في حالة تغلب لغة على أخرى ، عنه في حالة بقائها معاً ؛ ذلك أننا نرى اللغة الغالبة ، تستسيغ وتتمثل كل ما تأخذه من الأخرى المغلوبة ، مهما كثر

(١) انظر : علم اللغة لعلي عبد الواحد وافي ٢٢٣

مقداره . وفي هذه الحالة يتحول المستعار إلى عناصر من نوع عناصرها هي ، ويدخل فيها فتزداد به قوة وتجدداً ونشاطاً ، دون أن تجعل له أي مجال للتأثير في بنيتها ، أو تتيح له فعل اي تغيير في تكوينها الأصلي .

أما اللغة المغلوبة ، فإنها على العكس من ذلك ، لا تستطيع إطلاقاً أن تقضي على مقاومة ما تقذفها به اللغة الغالبة ، من مفردات وقواعد وأساليب ، ولا تكاد تسيغه ، فتفقد وحدتها وطابعها ، وبذلك تضعف بنيتها ، ثم تزول شيئاً فشيئاً . وقد كان هذا مصير اللغات السامية ، في صراعها مع العربية ، في الأمصار المفتوحة ، ومصير اللغة النورماندية المغلوبة ، مع الإنجليزية الغالبة .

أما إذا كتب للغتين البقاء ، فإن كل لغة منهما ، تعمد إلى ما تأخذه من الأخرى ، وتضفي عليه من حيويتها ، وتقضي على ما فيه من الآثار الهدامة سواء أكانت هذه الآثار متعلقة بالأصوات ، أم بالقواعد ، أم بالبنية ، أم بالأساليب . وعلى هذا تبقى كل منهما وتعيش بجوار أختها ، لها طابعها الخاص ، وشخصيتها القوية .

ولقد كان هذا شأن العربية ، مع اللغة التركية — كما عرفنا من قبل — ومع اللغة الفارسية ، حين دخلا في صراع لغوي ، بعد أن فتح العرب بلاد فارس ، وشأن الألمانية والفرنسية في سويسرا ، كما ذكرنا سابقاً .

ويضع اللغويون قواعد تنص على أن اللغة ، لا تتغلب على لغة أخرى ، إلا إذا توفرت الأسس الآتية:

١ — أن تكون اللغة الغالبة ، لغة شعب متحضر ، أرقى من الشعب المغلوب ، في حضارته وثقافته ، وأقوى منه سلطاناً وأوسع نفوذاً .

٢ — أن تبقى غلبة الغالب زماناً كافياً ، مع استمرار قوته ؛ لتتمكن اللغة الغالبة من بسط نفوذها ، ويتم لها نصر حقيقي .

٣ ـ أن تكون هناك جالية كبيرة العدد والنفوذ، تقيم بصفة دائمة في بلاد الشعوب التي غلبت لغتها ، وتمتزج بأفراد هذا الشعب، ولا تعيش إطلاقاً في عزلة عنه .

٤ ـ أن تكون اللغتان : الغالبة والمغلوبة، من شعبة لغوية واحدة ،أو من شعبتين متجاورتين (*) .

* * * * * * *

(*) المدخل الى علم اللغة لرمضان عبد التواب : ١٧١ - ١٧٧.

مناهج البحث اللغوي

بدأ تاريخ علم اللغة الحديث باكتشاف اللغة السنسكريتية على يد السير وليام جونز الانجليزي في عام ١٧٨٦م .

ثم بدأ العلماء بعد ذلك يبحثون اللغة بمناهج مختلفة مستمدة كلها من طبيعة اللغة نفسها ، فاستخدموا أولا المنهج المقارن ثم المنهج التاريخي ثم المنهج الوصفي .

أولا : علم اللغة المقارن : Comparative Linguistics

يتناول علم اللغة المقارن مجموعة لغات تنتمي إلى اسرة لغوية واحدة أو فرع من أفرع الأسرة اللغوية بالدراسة المقارنة .

وعلم اللغة المقارن أقدم مناهج علم اللغة الحديث ، وبه بدأ البحث اللغوي عصر ازدهاره في القرن التاسع عشر .

ويعتمد البحث المقارن على وجود تصنيف واضح للغات إلى أسرات لغوية ، ولم تكن القرابة بين اللغات معروفة على نحو علمي دقيق إلى أن اكتشفت اللغة السنسكريتية في الهند .

وأهم نتيجة أسفر عنها تطبيق المنهج المقارن هو تصنيف اللغات وربط بعضها ببعض ، فقد ثبت من المقارنات بين السنسكريتية والأغريقية التي قام بها شليجل وفرانزبوب وغيرهما أن هناك أسرة لغوية واحدة تضم اكثر اللغات التي عرفتها المنطقة الممتدة من الهند إلى اوربا اطلقوا عليها اسم (فصيلة اللغات الهندية الاوربية) ، وقد قام علماء اللغة ببحث العناصر المختلفة لكل لغة من هذه اللغات ولا سيما في أقدم نصوصها ، وذلك لاعادة بناء اللغة الأم التي خرجت عنها هذه اللغات كلها .

وطبق العلماء المنهج نفسه على طائفة أخرى من اللغات اكتشفوا ما بينها من سمات مشتركة فأطلقوا عليها اسم (فصيلة اللغات السامية) والتي نفضل

تسميتها بـ (اللغات الجزرية) ، وتشمل اللغات الاكادية (الآشورية والبابلية) واللغات الكنعانية (العبرية والفينيقية) واللغات الآرامية واللغة العربية الشمالية واللغة العربية الجنوبية واللغة الحبشية .

واكتشف اللغويون أيضاً صلات القرابة التي تربط (اللغات الحامية) المتمثلة في اللغة المصرية القديمة واللغة القبطية الحديثة والبربرية .

ويتناول علم اللغة المقارن دراسة الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية في اللغات المنتمية إلى اسرة لغوية واحدة .

فيبحث من الناحية الصوتية الأصوات الموجودة في هذه اللغات محاولا التوصل إلى قواعد مطردة تفسر التغيرات الصوتية التي طرأت على مدى الزمن فانقسمت اللغة الواحدة إلى لهجات ولغات كثيرة .

ويتناول في بناء الكلمة كل ما يتعلق بالأوزان والسوابق واللواحق التي تدخل في علم الصرف .

أمّا في بناء الجملة فيتناول دراسة الجملة الخبرية فعلية كانت أو اسمية ، والاستثناء والعدد والاستفهام وكل ما يدخل في باب النحو .

ويتناول أيضاً دلالة الألفاظ وما يتعلق بتاريخ الكلمات وتأصيلها .

ولابد من الاشارة هنا إلى أن اللغويين العرب قد عرفوا أن هناك قرابة بين العربية والعبرية والسريانية ، وشبهوا هذه القرابة بقرابة لهجات اللغة الواحدة.

قال الخليل بن أحمد (١) :

(وكنعان بن سام بن نوح ينسب اليه الكنعانيون ، وكانوا يتكلمون بلغة تقارب العربية) .

وقال ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) (٢) :

(الذي وقفنا عليه وعلمناه يقيناً أن السريانية والعبرية والعربية التي هي لغة مضر وربيعة لا لغة حمير ، واحدة تبدلت بتبدل مساكن اهلها) ..

---

(١) العين : ١/٢٠٥

(٢) الأحكام في أصول الأحكام : ١/٣٠

وقال السهيلي (ت ٥٨١هـ) (١) :

(وكثيراً ما يقع الاتفاق بين السرياني والعربي ، أو يقاربه في اللفظ) .

ثانياً: علم اللغة التأريخي : Historical Linguistics

يقوم هذا المنهج على دراسة تطور اللغة الواحدة في مراحلها المختلفة عبر القرون ، معتمداً على النصوص المدونة ، فيعمد إلى تتبع الظاهرة اللغوية من أقدم العصور التاريخية إلى أحدثها ، مسجلا التغيرات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية التي لحقت هذه الظاهرة أو تلك، ثم يبين سر هذه التغيرات وأسبابها ونتائجها ، ومن هذا يتضح أن هذا المنهج منهج يستعيد ماضي اللغة ويهتم بتاريخها عن طريق النصوص القديمة .

وقد أطلق دي سوسير على علم اللغة التاريخي اسم (دياكروني : Diachronic) ومعنى هذا المصطلح : (خلال الزمن) أو (متعاقب) .

علم اللغة التاريخي أو التطويري يدرس اللغة من خلال تغيراتها المختلفة، فهو بذلك يشبه علم الجيولوجيا ، فكلاهما علم تاريخي .

وتغير اللغة عبر الزمان والمكان خاصة فطرية في داخل اللغة ، فاللغة هي في كل لحظة بناء حاضر ، ونتيجة ماض ، وهي حركة متطورة .

والتغير اللغوي يسير في كل الاتجاهات ، في الأصوات والتراكيب الصرفية والنحوية والدلالات ولكنه لا يحدث بدرجة واحدة ، ولا يخضع لنظام معين ثابت (٢) .

ثالثاً: علم اللغة الوصفي : Descriptive Linguistics

يتناول علم اللغة الوصفي بالدراسة العلمية لغة واحدة أو لهجة واحدة في زمن بعينه ومكان بعينه .

---

(١) التعريف والاعلام : ١١.

(٢) علم اللغة بين التراث والمعاصرة : ٦٥.

ومعنى هذا أن علم اللغة الوصفي يبحث المستوى اللغوي الواحد من جوانبه الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية .

لقد ظل العلماء يبحثون اللغات في القرن التاسع عشر وأوائل العشرين بالمنهج المقارن ، ولم يكن هناك تصور واضح لامكان بحث اللغة الواحدة أو اللهجة الواحدة على نحو علمي دقيق ، ولكن الباحث السويسري دي سوسير أثبت بدراساته في نظرية اللغة ووظيفتها امكان بحث اللغة الواحدة وصفياً أو تاريخياً ، وهو أول من دعا إلى تطبيق المنهج الوصفي في دراسة اللغة .

وقد اطلق دي سوسير على علم اللغة الوصفي: (سانكروني: (Synchronic) ومعناه : علم اللغة التزامني .

وقد يطلق على (علم اللغة الوصفي) مصطلح آخر هو (علم اللغة التركيبي: (Strutural Linguistics: .

والمنهج الوصفي هو الذي يسود الآن في علم اللغة الحديث ، لأن المظهر التزامني للغة المنتمي إلى جماعة المتكلمين هو الذي يمثل ، وحده، الحقيقة الواقعة لكل نشاط لغوي .

وما دامت اللغة في حد ذاتها هي نظام أو نسق ، وما دامت تؤدي وظيفتها بوصفها نظاماً رمزياً ، فلابد من التسليم بانها لا تنطوي في ذاتها على أي بعد تاريخي .

وعلى ذلك فالتناول التاريخي للظاهرة اللغوية ليس تناولا علمياً ، أمّا المنهج الوصفي فهو المنهج الصالح لدراسة اللغة على اساس موضوعي .

وهذا المنهج العلمي الموضوعي بالاضافة إلى ذلك يحقق فائدة عملية ذات نفع عاجل ، وهي تعليم الناس اللغات الأجنبية ، وتعريفهم الطريقة الصحيحة لاستخدام لغاتهم (١) .

---

(١) علم اللغة بين التراث والمعاصرة : ٦٧ - ٦٨ .
وينظر : لغات البشر : ٧٤ .

الكلام واللغة واللسان

نستعمل كثيراً لفظتي الكلام واللغة بمعنى متقارب ، وثمة فرق بين الكلام واللغة .

نقول : ما الكلام ؟

والجواب : الكلام هو ما يصدر عن الفرد من الفاظ سواء أفادت أم لم تفد .

ونسأل : ما اللغة ؟

والجواب : هي الالفاظ التي تصدر عن الفرد والجماعة مؤدية معنى من المعاني ، فهي سلوك لفظي لدى الأفراد والجماعات .

وقد فرق علم اللغة الحديث بين ثلاثة مصطلحات وهذه المصطلحات هي الثالوث الذي اصطنعه دي سوسير. فهو يفرق بين هذه المفاهيم الثلاثة اذ وضع لكل منها كلمة مستقلة تدل عليه في اطار هذا العلم .

يرى دي سوسير أن هنالك كياناً عاماً يضم النشاط اللغوي الانساني ، في صورة ثقافة منطوقة ، أو مكتوبة ، معاصرة أو متوارثة ، وبعبارة أخرى: كل ما يمكن أن يدخل في نطاق النشاط اللغوي من رمز صوتي أو كتابي ، أو اشارة أو اصطلاح ، فخص هذا الاصطلاح بكلمة Language أي (اللغة) .

ثم انه ينظر إلى اللغة المعينة بطريقتين : فإما أن تكون في صورة منظمة ذات قواعد وقوانين ، وذات وجود اجتماعي ، فيطلق عليها Langue ، ويقابلها في العربية : (اللسان) ، وهي اللغة المعينة التي تتخذ موضوعاً للدراسة ، مثل العربية أو الانكليزية .

وأمّا أن تكون في صورة ممارسة فردية منطوقة ، على أي مستوى ، أو

بعبارة أخرى : النشاط العضلي الصوتي الذي يقوم به الفرد الواحد .

ويطلق عليها : Parole ، وهو بالعربية : (الكلام) .

أمّا في استعمالنا عبارة اللغة العربية والتي تعني اللسان العربي فاننا نجد فرقاً واضحا بين الكلام واللغة والانسان .

قال الدكتور حنفي بن عيسى (١) :

(ان الباحث اذا ما تصدى لدراسة لسان قوم . فاما ان يكون موضوعه هو اللغة كظاهرة اجتماعية وكأداة يتم بوساطتها التفاهم بين أبناء الأمة الواحدة أو ان ينصرف إلى دراسة الكلام ، وهو نوع من السلوك الفردي ويتجلى عن طريق كل ما يصدر عن الفرد من أقوال ملفوظة أو مسطورة)

فالكلام واللغة اذن هما في الواقع جانبان متناظران لظاهرة واحدة ، أما الأول فهو الجانب الفردي من السلوك اللفظي ، وأما الثاني فهو السلوك الاجتماعي .

أمّا دراسة الباحث للغة فهي دراسة ظاهرة اجتماعية يحاول من خلال دراسته أن يتوصل إلى السمات المشتركة بين الأفراد في كلامهم كي يحكم بأن قوماً من الاقوام لهم لغة مشتركة يتفاهمون بها .

وسلف أن ذكرنا تعريف ابن جني (٢) للغة : (أما حدها فانها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ... وأما تصريفها ومعرفة حروفها فانها فُعْلَة من لغوتُ أي : تكلّمتُ) .

أما اللسان : فهو النموذج الاجتماعي الذي استقرت عليه اللغة أو هو السلوك السوي لأغلبية عظمى من أبناء الأمة الواحدة ، وذلك لأن الفرد حينما يتكلم فانه ولاشك ينحرف قليلا عن لسانه القومي .

---

(١) محاضرات في علم النفس اللغوي : ٧٠.

(٢) الخصائص : ١/٣٣.

ونجد أن الفرد يحاول دائماً أن يكون لسانه قريباً من الفصحى لأنها النموذج المثالي الذي يسعى اليه الفرد . ونجد ان لسان أمة من الامم يشتمل على عدة لغات ، واللغة في حد ذاتها تتألف من كلام كل فرد ، فاللسان العربي مثلا يتضمن عدة لغات وان كانت هذه لا تختلف الا من حيث الجزئيات .

فثمة لغة قريش ولغة تميم ولغة أهل الحجاز .. الخ .

وبناء على هذا نقول : إن الكلام واللغة كل منهما سابق للسان من حيث النشأة ، لأن اللسان لا يستقر إلا بعد مضي أجيال ، فاللسان يتأثر بالكلام واللغة ويؤثر فيهما ، يتأثر بهما لأنه نتاج كل ما يصدر عن الأفراد من أقوال ، لأنه يتلقى رصيده من الأفراد والجماعات ، ويؤثر فيهما لأن المتكلم يحاول دائماً أن يتقن أساليب التعبير ويقلد البلغاء إلى أن تصبح لغته ملكة راسخة وأداة مطواعاً لفكره (*) .

(*) ينظر :

- العلاقة بين اللغة والفكر : ٤٥ - ٤٨
- في علم اللغة العام لعبد الصبور شاهين : ٢٩
- دراسات في علم اللغة الوصفي والتأريخي والمقارن : ٦٥
- مدخل الى اللسانيات لرونالد ايلوار : ٤٥

وظيفة اللغة

لا شك أن وظيفة اللغة الأساسية هي التعبير عن الأحاسيس وتبليغ الأفكار من المتكلم إلى المخاطب ، فاللغة بهذا الاعتبار وسيلة للتفاهم بين البشر ، وأداة لا غنى عنها للتعامل بها في حياتهم .

ولقد سبق أن قامت الدراسات اللغوية على أساس انها فرع من الفلسفة أو فرع من علم النفس ، أو فرع من الانثربولوجيا الاجتماعية...الخ.وخلاصة ما أدت اليه هذه الدراسات هو اعتبار اللغة وسيلة للتعبير عن الأفكار والعواطف والرغبات أو وسيلة لتوصيل الأفكار .. الخ . ويقول (هنري سويت) « ان اللغة هي التعبير عن الأفكار بوساطة الأصوات الكلامية المؤتلفة في كلمات» (١).

ونجد أن سابير يذهب نفس المذهب إذ يقول : « اللغة وسيلة انسانية خالصة وغير غريزية اطلاقاً لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام من الرموز التي تصدر بطريقة ارادية » (٢) .

ولا يزال بعض المحدثين من علماء اللغة ينظرون إلى اللغة هذه النظرة ولكن «الأفكار» و «الانفعالات» و «العواطف» والرغبات .. الخ. مصطلحات منقولة من دراسات أخرى غير لغوية في أصلها ولو جاز أن «الكلام»في بعض استعمالاته تعبير عن «الفكر» فانه ليس كذلك في جميع استعمالاته أو في معظمها ، فليس ثمة توصيل للأفكار أو تعبير عن أفكار في لغة التحيات ولغة التأدب ولغة التدريب الرياضي والعسكري مثلا .

إن أصحاب هذه النظرية في اللغة على اختلافهم يرون أن :الوظيفة الأساسية للغة هي أنها وسيلة من «الاتصال» أو «التوصيل » أو «النقل» أو «التعبير عن

(1) Henry Sweet: Vew English Grammar. Language in the expression cet ideos by means of speech sounds Combined into wonds.

(٢) انظر اللغة والمجتمع د. السعران ١٠ .

طريق الأصوات الكلامية »(١). وأن ما توصله اللغة أو تنقله أو تعبر عنه هو الافكار والمعاني والانفعالات والرغبات أوالتفكير بوجه عام . وأقول : ان حصر جميع وظائف اللغة في غرض واحد لايخلو من مغالاة ، وسنجد أن التعبير يتخذ عدة صور ، ولايمكن أن نطلق على بعضها تسمية اللغة على سبيل المجاز وسنجد أن التبليغ مفهوم أعم من اللغة اذ انه يمكن أن يحدث بعدة طرق من جملتها اللغة ، وسنجد في السلوك اللغوي للانسان مالايمكن أن يندرج في الوظيفة السالفة الذكر فهناك مثلا المونولوج أو الحديث الداخلي فليس القصد منه التبليغ بل هو تنفيس عن الكرب الا اذا افترضنا على غرار مافعل سابير أن : «المتكلم والسامع مندمجان في شخص واحد ويمكن أن يقال عنه بأنه ينقل الافكار الى نفسه (٢). ومما لاأثر فيه للتبليغ ايضاً مايسمى بالمناجاة من صلاة ودعاء واستغفار وذكر الله عزوجل ، وما الى ذلك فلا يوجد هنا تبليغ وليس له الا طرف واحد ولكن نستطيع القول بأن الحوار حاصل بين العبد وخالقه .

وبعد فانني سأعرض وظائف اللغة على النحو الآتي :

١ ــ **الوظيفة الاجتماعية** : أن اللغة تبلور الخبرات البشرية وتجارب الأمم في كلام مفهوم يمكن أن يستفيد منه الآخرون، وتدون التراث الثقافي، وتحتفظ به جيلا بعد جيل كما أنها تساعد الفرد على تعديل سلوكه كي يتلاءم مع المجتمع فهي تزوده بالعبارات المناسبة لكل مقام . وعندما يتعلم المرء تلك العبارات ويرددها في الظروف المناسبة فانه يحاول أن يخضع سلوكه كفرد لما يقتضيه المجتمع.

٢ ــ **الوظيفة النفسية:** فاللغة خير وسيلة للتحليل فبوساطة اللغة يستطيع الفرد أن يحلل أية فكرة الى أجزائها فإذا سألك شخص عن وصف حادثة شهدتها فانك ستجيب عن الاسئلة الآتية: ماذا وقع؟ ومن هو الشخص الذي

---

(١) انظر اللغة والمجتمع ــ د. السعران ١٢.

وقع له الحادث ؟ ومتى؟ وكيف ؟ ولماذا؟ وماهي الظروف المرافقة للحادث وملابساته ونتائجه؟ وستجد في اللغة صورة صادقة للاجابة عن كل هذه الاسئلة ويرى العالم النفسي الشهير ثورندايك أن وظيفة اللغة النفسية ليست في التحليل والتركيب بقدر ماهي في أحداث استجابات لدى الافراد فاللغة انما هي أداة نستعملها لاثارة أفكار وعواطف لدى الآخرين. فهي أذن خاضعة لقانون المنبه والاستجابة علماً بأن المنبه في مجال اللغة هو الكلمات والاستجابة هي السلوك اللغوي الناتج عنها .

٣ ـ **الوظيفة الفكرية** : أن الانسان يمتاز عن سائر الحيوانات بالفكر والقدرة على التصور والتخيل والتحليل والتركيب . واذا نظرنا الى بعض الطيور والقردة والكلاب فاننا ربما سنجد في بعضها وخاصة التي خضعت للتدريب سلوكاً ينم عن شيء من الذكاء والفكر ولكن ليس في الدرجة التي استطاع الانسان المفكر أن يصل اليها وأن المقارنة بين هذه الحيوانات والانسان لاتجوز لان الفرق شاسع جداً . والشيء الذي يميز الانسان عن سائر الحيوان هو أنه ناطق معبر عن كل مايريد من افكار لديه لذا فان هذا يؤكد ماذكرناه سابقاً من أن اللغة والفكر لايمكن الفصل بينهما . واللغة في الحقيقة لاغنى للإنسان عنها فهي الوسيلة لابراز الفكر من حيز الكتمان الى حيز التصريح ، وهي أيضاً عماد التفكير الصامت والتأمل ولولاها لما استطاع الانسان أن يسبر غور الحقائق حينما يسلط عليها أضواء فكره .

اذن العلاقة بين الفكر واللغة وطيدة . فاللغة تقدم للفكر تعاريف جاهزة وتصف له الاشياء بخصائصها حتى لاتتداخل مع غيرها وتساعد المفكر في عمله إذ تزوده بصيغ وتعابير معروفة وتضع تحت تصرفه أساليب مدروسة (*).

(*) العلاقة بين اللغة والفكر : ٤٩-٥٢.

اللغة وسيلة للتعبير

لقد قلنا إن الوظيفة الاساسية للغة هي التعبير وهي الوسيلة الوحيدة والاساسية للتعبير عن عواطف الانسان وأحاسيسه وأفكاره من الداخل الى الخارج . ولكن كما ذكرنا أن هذا التعبير قد يتخذ صوراً وأشكالا فقد يكون التعبير أحياناً بحركات اليد أو بهز الرأس أو بتغير ملامح الوجه أو بالنقر على الخشب أو بالصفير أو بغيرها من الوسائل الاخرى المساعدة أقول : ان التعبير لايختص به الانسان فقط ولكن نجد أن بعض الحيوانات تستطيع كذلك أن تعبر عن حاجاتها بجعله من الأصوات أو الحركات أو الصرخات إذ أن الحيوانات لديها وسائلها الخاصة لتعبر بها عما تريد فهي تستعمل حركات واشارات وأصوات خاصة بها في حالات مختلفة سواء في التبليغ عن الطعام أو الى خطر داهم أو الى رغبة ...الخ .

ونجد أن التعبير إما أن يكون فطرياً وإما أن يكون وضعياً .فأما التعبير الفطري فهو التعبير عن العواطف والانفعالات والأحاسيس وهذا التعبير الطبيعي الذي يتم بوساطة الصراخ والضحك والبكاء واحمرار الوجه ..الخ من المظاهر غير الارادية التي ندركها بالحواس.

ومن منا لايستطيع أن يقرأ على وجه صديقه مايعتلج في ذهنه من الخواطر؟ فمن السهل ان نتبين على ملامحه الالم أو الحزن أو السرور أما التعبير الاصطلاحي فهو لغة التفكير والعمليات العقلية المعقدة وهو لغة الحضارة والتقدم وبها يتعامل الناس في حياتهم ويتفاهمون لقضاء شؤونهم وهذا النوع من التعبير يكون ارادياً ومقصوداً .

والتعبير الوضعي نوعان :

١ — مايدرك بالبصر، مثل الاشارات البحرية والحركات اليدوية التي يستخدمها الصم والبكم وكذلك الحركات التي نستعملها كمساعد للكلام للتوضيح والشرح وكذلك العلامات اللغوية المكتوبة .

٢ ـ مايدرك بالسمع وهي الأصوات المركبة والجمل ونجد أن معظم الحيوانات تشترك مع الانسان في الطريقة الأولى للتعبير وهي اللغة الفطرية فالحيوانات تحس كالانسان بالجوع والعطش والخوف والغضب ..الخ .فهي تستعمل لغتها الفطرية للتعبير عن كل حالة من هذه الحالات .

وكما ذكرت من قبل فان هذه الانواع من التعابير أبعد ماتكون عن خصائص اللغة حسبما تعارف عليها الا نسان.

فالحيوان من «البهائم العجماء» فلا يملك جهازاً صوتياً ولايملك فكراً وعقلا وهذا هو مايميز الانسان عنه . وعلى هذا فلا نستطيع أن نطلق على تلك الاشارات أو الاصوات أو الحركات التي يعبر بها الحيوان عن رغباته كلمة اللغة الا على سبيل المجاز فقط لان اللغة هي تلك الرموز والأصوات والجمل والتراكيب التي عرفها الانسان وألفها واستطاع أن يعبر بها عن رغباته وأفكاره فهي بعيدة كل البعد عن تلك التي لدى الحيوانات (*).

(*) العلاقة بين اللغة والفكر : ٥٣ـ ٥٤.

اللغة وسيلة للتبليغ

ان من اهم وظائف اللغة نقل فكرة ما من شخص لاخر ، وقد توجد طرائق مختلفة لتوصيل الفكرة كبعض الحركات والاشارات والايماءات وغيرها من الوسائل المعروفة ، الا أن اللغة تبقى الوسيلة الوحيدة القـــادرة على ابلاغ الفكرة من المتحدث الى السامع بسهولة ويسر وبسرعة فائقةلأن اللغة هي أقدر الوسائل على التبليغ والتوصيل .

ولابد لنقل أي خبر أو فكرة من أن يكون لهذا الخبر أو هذه الفكـــرة مصدر ونهاية مختلفان في الزمان والمكان أي أن الخبر أو الفكرة ينتقلان من نقطة البداية الى نقطة اخرى هي نقطة النهاية ولابد من أن يسلك هذا الخبر طريقاً يدعى الممر أو القنال ، ولكي يمر الخبر عبر الوسط الناقل له فلابد من صياغته في رموز متعارف عليها ويستعان لتحقيق ذلك بجهاز الارسال لدى الانسان وهو الجهاز الصوتي ، وبعد ارسال الخبر لابد ان يوجد هناك جهاز لاقط وهو أذن السامع تتلقى تلك الرموز وتترجمها وتعيدها الى الصيغة التي انطلق بها الخبر من المصدر .

وهناك امثلة اخرى على التبليغ الا وهو التبليغ البرقي فهناك المصدر تنطلق منه بلاغات ورسائل متتالية ، ويحولها جهاز الارسال الى نقاط اما جهـــاز الالتقاط فهو يحول تلك الرموز الى حروف .

وكذلك التأليف يعتبر طريقة من التبليغ ،ان المؤلف هو مصدر كل مـــا ورد في كتابه من اخبار وافكار ، والقراء هم بمثابة المنتهى . وعملية الكتابة والتسجيل هي بمثابة الارسال ، وبقاء محتوى الكتاب مكتوباً دو الممـــر الذي يضمن للكتاب الديمومة عبر الزمان والمكان . وأن عقول القراء وعيونهم هي أجهزة الالتقاط . ونقول إنّ التبليغ اللغوي هو اكثر أنواع التبليغ انتشاراً وتداولا بين الناس لأن الانسان في أغلب الاحيان هو مصدر الخبر ، فهـــو

يستطيع بفضل تكوينه الفيزيولوجي وتجاربه الماضية ومدركاته الحسية والعقلية، أن يحصل على اخبار يمكن نقلها الى غيره ، ويستعين الانسان لنقل الخبر كما ذكرت من قبل بجهازه الصوتي الذي يحول الخبر الى أمواج صوتية تخترق الهواء وأما الممر الذي ينتقل عبره هذا الخبر فهو الهواء الذي يشكل صلة الوصل بين جهاز المتكلم الصوتي ، وبين أذني السامع، والأذن عبارة عن جهاز من أجهزة الالتقاط كما أوضحت ، فهي تلتقط الأمواج الصوتية وتحولها الى حركة تدب عبر الاعصاب ، وتنتقل الى منتهاها، أي إلى الجهاز العصبي المركزي.

وبعد فان عملية التبليغ تشتمل على مرحلتين هما :

١ ـ مرحلة الصياغة .

٢ ـ مرحلة الكشف عن الصياغة والباسها المعنى المطلوب.

وقد أشار ابن جني في كتابه الخصائص الى ماسماه بالمعميات وهو ما عمي وألغز في الرسم والكتابة (١) ومن أمثلة ذلك أنك اذا أردت أن تكتب «احمد» فيمكن ان تعوض عن الألف بالكاف مثلا والحاء بالطاء والميم بالراء والدال بالباء فتكتب كطرى عوضاً عن احمد.

وأشار ابن جني ايضاً الى ماسماه «بالتراجم» وسمّي كذلك لأن الكلمة التي فيها تعمية وغموض تحتاج الى الترجمة .

وخلاصة القول ان جل اللغات هي في الواقع عبارة عن مجموعة من العلامات أو الرموز المتعارف عليها في المجتمع . فالكتابة مثلا هي عملية وضع للصياغة ، والقراءة هي عملية الكشف عنها، كما أن الكلام هو عملية صياغة للافكار التي تدور في الذهن برموز عربية أو المانية أو روسية أو غيرها ، وفهم المخاطب لها هو عملية كشف لهذه الرموز واعطائها المعنى الاجتماعي المتعارف عليه . (*).

(ج) الخصائص ١/٥٤ .

(*) العلاقة بين اللغة والفكر — : ٥٥— ٥٧

اللغة والفكر

سبحان الذي منح الإنسان عقلا يفكر به ويدبر وأودعه جهازاً يفصح به ويبين. إن تحديد الروابط بين الكلام المسموع وبين الفكرة الهائمة في افاق النفس البشرية ، مايزال يعتبر من اشد مباحث علم اللغة تعقيداً وأكثرها طرافة في آن واحد ، ونحن نعلم ان اللغة ماهي الا رموز صائتة يحدّد بها الانسان تجاربه الحسية أو المعنوية ، ولما كانت اللغة هي الوسيلة التي يعبر بها الإنسان عن افكاره وما يدور بخلده ، وهي الوسيلة للتفاهم والتعامل مع أفراد المجتمع ، ولما كان الفكر المعبر عنه بهذه اللغة في تغير مستمر نتيجة للمؤثرات الخارجية ونتيجة للتقدم العلمي والتقني وتطور ورقي المجتمعات وظهور المخترعات فلابد أن تساير اللغة تطور هذا الفكر الذي تعبر عنه ، اذن فعلاقة الفكر باللغة علاقة وطيدة ، ويمكننا القول : هما وجهان لعملة واحدة ،يقول العالم دولا كروا «ان الفكر يصنع اللغة في نفس الوقت الذي يصنع فيه من طرف اللغة» (١) .

كما نعلم أن اللغة هي عبارة عن نسق من الاشارات يمكن أن يستعمل للتواصل أو بمعنى آخر هي تلك القابلية التي يتوفر عليها الانسان لاختراع الرموز بكيفية معتمدة . نجد هنا ان اللغة خاصة بالانسان وتختلف عن لغة الحيوان إذ يستخدم الحيوان الاشارات في توصله مع الحيوانات الاخرى .

أما الفكر ، فهو ذلك الوعاء الذي يحوي التصور والتخيل والذاكرة ، والذكاء ، ومحرك الفكر هو الذكاء ، والذكاء عند الانسان لايبلغ درجة الكمال إلا عندما يصبح عقلا ونشاطاً تجريدياً يستعمل المفاهيم والتصورات بوساطة اللغة . فالفكر لايستطيع أن يعبر عن شيء الا بوساطة اللغة . لأن الله منح الانسان فكراً وجهازاً لغوياً ، فوظيفة الفكر التفكير ووظيفة الجهاز اللغوي النطق والتعبير ولايكون ذلك الا بلغة .

(١) محمد نور الدين : الفلسفة ٦٤

لقد اختلف الباحثون والفلاسفة في تعريف اللغة ، فعرفها الفيلسوف (لالاند) بأنها (جملة من الاشارات يمكن أن تكون وسيلة للاتصال) وهذا التعريف يجانب الحقيقة لأن الاشارات وحدها لاتكفي للتعبير عما يدور بخلد الانسان ،ونجد ان الحيوان يستعمل الاشارات في التعبير عن احواله وقد اكتشف «فون فريش» (١) اشارات النحل والتي تتمثل في رقصات تشير بها الى مكان الغذاء الذي تكون قد اكتشفته ، ومن هنا تكون للحيوانات اشارات ورموز نابعة من الغريزة ، ولكن الانسان له لغة يكمن وراءها الفكر وهو محرك الانسان ، والغريزة وهي محرك الحيوان .

وقد عرف ابن جني اللغة فقال :«حد اللغة اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم (٢)» وهذا تعريف دقيق يتفق في جوهره مع تعريف المحدثين فهو يؤكد الجانب الصوتي للرموز اللغوية ، ويوضح وظيفتها الاجتماعية وهو التعبير ونقل الفكرة في اطار البيئة اللغوية ، وتؤدي وظيفتها في مجتمع معين ، ولكل قوم لغتهم التي يعبرون بها عن أغراضهم .

فالالماني يستعمل الالمانية ويتفاهم بها مع مجتمعه ، والعربي يستعمل العربية للتفاهم والتعامل مع افراد بيئته .

فاللغة تختلف من مجتمع لآخر،وطريقة التفكير تختلف كذلك من بيئة لأخرى وبعد فاننا سنناقش علاقة الفكر باللغة .

يتبين لنا من الناحية المبدئية أن التفكير سابق على اللغة . فكثيراً ماتنبثق الفكرة في أذهاننا ، ونبقى نبحث عن العبارات التي تؤديها كما أن استعمالنا لأكثر من لغة واحدة للتعبير عن المعنى الواحد يكشف لنا عن اسبقية الافكار بالنسبة للوسائل اللغوية التي نعبر بها.

---

(١) حياة وموت النحل

Von frish. vie et moevdes a leilles

(٢) انظر الخصائص : ٣٣/١.

ونجد ان سلوك الصم والبكم ينم عن تفكير سليم يتضح معه أن الانسان بامكانه ان يستعمل اشارات للتعبير عن افكاره ، ولكن الانسان استعمل جهازه الصوتي لانه الوسيلة الوحيدة التي بوساطتها يستطيع التعبير ، فالانسان البدائي قد ترك التعبير بوساطة الاشارات لانه اتفق أن التعبير بوساطة الجهاز الصوتي أفضل وسيلة ، إذ لا يستطيع الإنسان أن يعبر بالاشارة خاصة في الظلام .

ولقد منح الله الانسان جهازاً صوتياً مميزاً عن سائر الحيوانات ،فمهما بلغ رقي الجهاز الصوتي لدى الحيوانات فانه لن يصل الى حد النطق والكلام ، ومهما حاولت بعض القردة أو أنواع الشمبانزي أن تصدر أصواتاً فهي بالتالي عاجزة عن الكلام والنطق . ولقد عرف ارسطو الانسان بانه حيوان ناطق ، وفسر الناطق بالمفكر ، وهنا نميز بين اشارات الانسان والحيوان فتجد الاشارات عند الانسان ناتجة عن فكر فهو يعرف الى ماذا يشير وعن ماذا يعبر بالاشارة ، أما الحيوان فالاشارة عنده ناتجة عن اندفاع غريزي. ولقد اجرى (فون فريش) تجربة مع النحل حيث وضع سكراً حلو المذاق فوق احد أعمدة اللاسلكي كانت توجد عند أصله خلية نحل فاكتشفت بعض النحلات هذا السكر فرجعت الى الخلية حيث قامت بالرقصات الدالة على اكتشافها لهذه المادة الحلوة اللذيذة.

لكنها لم تتمكن من أن توضح للعاملات الاتجاه الذي يوجد به السكر فاتجهت إلى نواحي مختلفة باستثناء أعلى العمود .

وهذا يدل على أن النحل عجزت عن التعبير عن مكان السكر وابلاغ بقية النحل بذلك وهكذا نجد أن اللغة هي الوسيلة الوحيدة للتعبير عن الفكر لكن اسبقية التفكير من الناحية الزمانية لاتقتضي اسبقية من الناحية العملية بالنسبة للفرد الذي يعيش في وسط اجتماعي ولانستطيع أن نحدد فاصلا زمنياً بين اللغة والفكر ، فالطفل يتعلمها في آن واحد وهو يكتشف أفكاره في العبارات

التي يستعملها ، كذلك الشخص السوي الكبير فانه بعد أن يتعلم اللغة ، يستطيع أن يفكر بدون لغة فاللغة للتفكير مثل الدخان الذي يدل على وجود النار ، بل آنهما متداخلان يضم أحدهما الاخر، فإذا كان المعنى يؤخذ من العبارة فأن العبارة ليست الا وجوداً خارجياً للمعنى .

إذن فليس التفكير ظاهرة داخلية كما يزعم البعض ، والذي يوهمنا بوجود تفكير بدون لغة انما هي الأفكار التي يمكن استحضارها أثناء الصمت ، والواقع أن هذا الصمت الظاهري انما هو كلمات والفاظ ولقد ذهب واطسن (١) الى التوحيد بين اللغة والفكر فهو يرى أن الفكر ليس شيئاً أكثر من الكلام الذي بقي وراء الصوت ، انه كلام الحنجرة لاالصوت. وعندما يفكر الأنسان فأنه يتكلم بالرغم من ان هذا الكلام لايسمع .

واقول: ان الانسان لايمكن أن يفكر بدون لغة أياً كانت هذه اللغة وليس هناك أدنى شك بأن التفكير في أغلب الحالات يقتضي استعمال اللغة .

أما «سابير» فلاحظ أن اشكال أو صور لغتنا تهبنا سلفاً بعض أشكال الملاحظة والتأويل، ان علينا ان نتعلم في كثير من الحالات ان نكافح مقتضيات اللغة فاننا عندما نستعمل التعبير (العشب يتموج بالنسيم) أو(الاحتكاك يخفف حركة النسيم) فاننا نقع في خطأ تشخيص أو تجسيد كلمات لها هذا المعنى ، وبياجيه لاحظ هو الاخر لدى الأطفال ميلا الى تشخيص أشياء جامدة والتحدث عنها كما لو أنها أشياء حية وهو يرى أن هذا الميل « التجسيدي» ميل عام لدى الأطفال لايتغلبون عليه الا بالتدريج وبياجيه يعترف هنا بأثر العادات اللغوية في هذا الموضوع فعندما نقول« الشمس تشرق أو تغرب» وعندما نقول :ماذا تقول الأمواج الثائرة ، أو نقول: هي ونحن نتكلم عن الباخرة مثلا فانه من الواضح اننا نشجع اطفالنا على التعبير عن هذا الميل التشخيصي ، ووجود هذا الدليل أدى بـ(ماكس مللر) الى

---

(١) التعبير والتفكير ٢٠٤. شوشار .

اعتبار الميتولوجيا أي الخرافة « مرضاً لغوياً» فعندما نقول: إن الشمس تحاول اختراق الغيوم، وان الرياح تهز الأشجار ، وان الأشجار تنحني تجاه الرياح فأننا نقع في عادات لغوية تهيئنا لتشخيص هذه الأشياء الجامدة ، وهـذا ما يؤدي مباشرة الى نمو الأساطير .

وقد ذهب (بندكت) (١) الى ان هنالك عدة فرضيات لتحليل أصول الأساطير ولكنه لم يتوصل الى اي فرضية مرضية تماماً، ومهما يكن فأن اللغة تؤثر في طبيعة الفكر كما أن الفكر يؤثر في طبيعة اللغة، واننا لن نصل الى تقرير أي من اللغة أو الفكر قد سبق الاخر ولكن الصواب أن الفرد الـذي يولد في محيط له ثقافة خاصة، سيفكر بالاعتماد على مفردات تتصـل بوسيلة التعبير الشائعة في جماعته ،وان طبيعة تفكيره بالتالي ستكون متأثرة بذلك فنحن عندما نريد دراسة الطريقة التي يفكر بها أي شعب من الشعوب فأننا ندرس لغة هذا الشعب .

يقول دونلاب: « عندما ندرس بنية اللغة في شعب ما فإننا ندرس صور وطرائق تفكيره، وعندما ندرس مفرداتها فاننا نكتشف نماذج مميـزاته ، فإذا زعمنا بأن اللغة هي تبلور فكر الشعب فان قولنا هذا بعيد عن ان يكون خلاف الحقيقة، ودونلاب يقدم لنا هنا حقيقة ، فألفروق الموجودة بيـن مفردات الشعوب تلقي بعض الضوء على ثقافاتهم ، انه ليس من الممكن في بعض اللغات مثلا أن تميز بين كلمتي (Tuer) قتل بلا تعمد و(assasiner) (قتل بتعمد) فالجماعات الأخرى البعيدة عن فرنسا المهم لديها هو النتيجة سواء كان يقتل عمداً أو بغير عمد.

وقد زعم بعض علماء النفس ان لغات البدائيين فقيرة بالكلمات المجردة وقالوا من حقنا القول ان تفكير هؤلاء محصور بالتشخيص وانهم ليسـوا قادرين على التجريد، ولكن اذا امعنا النظر في هذه العبارة نقول: ان نقص

---

(١) علم النفس الأجتماعي د. حافظ الجمال ص٧٣.

بعض الكلمات ناشىء على الأرجح على ان هؤلاء الناس لا يهتمون كثيراً بالمجردات لا لأنهم عاجزين عن بلوغها، ولقد أثبتت التجربة التي قام بها علماء النفس بين بعض القبائل الهندية، ان لغتهم تملك كلمات مثل (أبي) (أبوك) (أبوه) ولكن لايوجد أي كلمة للدلالة على الأب وكان الشخص المسؤول قادراً تماماً على فهم فكرة الأب وقدم كلمة تؤدي نفس المعنى من هنا يتبين لنا ان الفكر يخدم اللغة واللغة تخدم الفكر والفكر يكمل اللغة واللغة تكمل الفكر. أما القول بأن فقدان بعض الكلمات يقابل بعض الثغرات العقلية فأنه كلام بعيد عن الصواب ،فاللغة البلغارية كما يقول فندرس ليس فيها مصدر الفعل ومع ذلك فانه لايخطر ببال أحد أن يستنتج من ذلك أن البلغاريين لايتمتعون بملكة ادراك العمل الذي يدل عليه الفعل بصورة مجردة .

وبعد فأنني استطيع القول ان الفكر يسبق اللغة من الناحية الزمنية فالطفل يولد بفكر ثم يكتسب اللغة ولا يولد بلغة ثم يكتسب الفكر،والفكر هو الذي يؤهله لأكتساب اللغة. وان العلاقة بين الفكر واللغة هي علاقة تبادل التأثر والتأثير وكل منها يكمل الاخر فهما وجهان لعملة واحدة، فإذا فقد الأنسان القدرة على التفكير فقد فقد القدرة على التعبير، فالفكر ينمو، ويرتقي وبذلك تنمو وترتقي معه اللغة فكل تطور في الفكر يصاحبه تطور في اللغة (*)

(*) العلاقة بين اللغة والفكر لأحمد عبد الرحمن حماد ١٧-٢٣.
وينظر في اللغة والفكر :
- في اللغة والفكر لعثمان أمين
- اللغة والفكر لنوري جعفر
- اللغة والفكر :لعبد العزيز وآخرين
- اللغة والفكر : لبول شوشار

تطور اللغة مع تطور الفكر

قلنا إن اللغة هي وعاء الفكر تحفظه وتعبر عنه وترقى برقيه، وسنحاول هنا اظهار العلاقة الوطيدة بين الفكر واللغة حيث نجد أنه عندما ينمو الفكر ويتطور فانه يأخذ بيد اللغة معه وسيطورها لتكون هذه اللغة خليقة للتعبير عن هذا الفكر السامي المتطور . ان الفكر هو ذلك السر البشري المتطور دائماً المتطلع الى الكمال، هذا الفكر يحتاج في رحلته هذه الى لغة لتعبر عنه، اذن لابد لهذه اللغة من السمو والتطور الى الدرجة التي تلتقي فيها مع هذا الفكر . وان الكلام ظاهرة مرافقة للفكر وسنورد هنا أمثلة لبعض الألفاظ طورها الفكر من الفاظ حسية الى الفاظ مجردة وذلك لتعبر عن نموه وتطوره .

لو أخذنا كلمة (المروءة): أصلها في اللغة من كلمة المرء ومعناها الرجل المكتمل، وهذه اللفظة في معناها الحسي لاتدل الا على الشخص ، وهذه اللفظة تدل على ما في الرجل من صفات مثل: القوة والهمة ، والشعور بالرجولة، والنخوة، والشهامة، والأمانة وغيرها من الدلالات الحديثة .

وكلمة «الروح» :فأصلها من نفس أصل لفظة الريح ، وهو الهواء، ثم النفس الذي يردده الإنسان في صدره شهيقاً وزفيراً ، وقد سمى كل ماتحمله الريح وتمضي ويشمه الإنسان عند التنفس رائحة، وسميت الراحة لليد لاتساعها وانبساطها: ولما كان تردد الريح في صدر الإنسان هو أوضح العلامات على أنه حي لم يمت ،اشتق من ذلك لفظ الروح بمعنى سر الحياة المجرد المبهم في الكائن الحي، ولاشتقاق الروح من الريح جاء لفظها في القرآن الكريم مستعملا مع الفعل (نفخ) في قوله تعالى:« فنفخنا فيه من روحنا» (١). وكلمة «النفس» : اصلها من مادة النفس أي استنشاق الهواء

(١) الأنبياء: ٩١–
التحريم: ١٢
وينظر– اللسان والأنسان : ٨١

شهيقاً وزفيراً، ومن ذلك استعملت النفس بمعنى الكائن المحتوي على سر الحياة، لأنه يتنفس ، ثم سميت المرأة التي وضعت حملها نفساء ،خرجت من بطنها نفس أخرى حية. كل ذلك تطور مع احتياجات الفكر للتعبير ولم ينزل وحياً من السماء على الانسان دفعة واحدة .

ولفظه «العقيدة» وأصلها من الفعل عقد، وهو أن يربط الإنسان عقدة في حبل أو قطعة من النسيج .والعقيدة هي الشيء الثمين الذي يصر ويربط ويعقد عليه الرباط حتى لايضيع ،وكذلك كان الرجل القديم يعقد خيطاً، أو خصلة من الشعر أو الصوف، على اصبعه. ليتذكر شيئاً هاماً ولاينساه، ثم استعملت كلمة العقيدة استعمالا فلسفياً للدلالة على ما استقر في قلب الإنسان من فكرة دينية أو سياسية أو اجتماعية ويحرص عليها الإنسان ويتعصب لها ،وكأنها شيء ثمين عقد عليه قلبه حتى لايضيع .

وكلمة «العقل» بمعنى الربط أو ربط الدابة بحبل اسمه العقال وقال صلى الله عليه وسلم« اعقلها وتوكل» اربطها بحبل وتوكل. والعقال الذي يوضع على الرأس لأنه يعقل «الحطة» ثم نقل من معناه الحسي الى المعنى الفلسفي وهو القوة الخفية في النفس البشرية التي تمسك الإنسان فلا يجمح ولايضل . ويقال :فلان عاقل وفلان يعقل، وعقل الدواء البطن ،أي: مسكه. وكلمة «الشرف» مأخوذة من الشرفة وهي الأرتفاع لأن من يقف عليها يشرف على غيرها ان يستطيع أن يكتشف مادونها. فانتقلت من المعنى الحسي الى المعنى المجرد. ومنها الاشراف على البحوث العلمية والإشراف الإجتماعي ونحوها ثم اصبحت تدل على مجموع حيثيات بعضها بالنسب وبعضها بالحسب تجعل الإنسان، معنوياً منزلة ارفع من غيره ونجد مثالا لتطور الدلالة مع تطور الفكر في كلمتي «المعروف والمنكر » فمعناها التجريدي هو الخير والشر، اما المعنى الحسي المادي القديم لهما . المعروف ما يعرفه الناس والمنكر مالايعرفه وفي الحياة البدائية كان الإنسان لايعرف الا أهله وذوي

قرابته وبني قبيلته أما ماعدا ذلك فلا يعرفه ولايطمئن اليه . ومن هنا انتقل معنى الكلمتين الى المعنى التجريدي فأصبح المعروف والمنكر بمعنى الخير والشر .

من هذه الأمثلة السابقة يتضح لنا أن كل ما في اللغة من اشتقاق أوتوسيع أو تضييق في الدلالة، أو نقل لها من المحسوسات انما كل ذلك من صنع البشر ، وهذا نتيجة حتمية لتطور الحياة وتطور الفكر ونحوه وبهذا نجد أن اللغة تمت وتطورت مع الفكر لتكون أداته المعبرة عنه ، وفي ذلك يقول سابير: « اننا نفكر دائماً من خلال الفاظ نستحضرها في اذهاننا» (١) .

ثم يؤكد سابير على العلاقة اللزومية بين اللغة والفكر ، وعموم هذه العلاقة وشيوعها في النوع الإنساني على اختلاف أجناسه وألوانه ودرجاته الحضارية اذ يقول: « ان الأنسان هو المخلوق الوحيد العاقل المفكر، تبين لنا الى أي حد ترتبط اللغة بالفكر ، والى اي حد كان المعلم الأول(ارسطو) دقيقاً عندما عرف الإنسان بأنه «الحيوان الناطق» وشرح الناطق بأنه المفكر (*).(٢)

وفي الحقيقة ان اللغة هي الواقع المباشر للفكر أي ان جوهر الفكرة يعلن عن نفسه بوساطة الألفاظ ،ولاوجود للافكار خارج نطاق من اللغة . وأن الأتصال الأبدي بين الفكر واللغة أوجد حالة اعتماد كلي من الفكر على اللغة بحيث أصبح الإنسان غير قادر على جميع شتات الفكر الا داخل أسوار اللغة وبهذا نجد ان اللغة هي المادة الطبيعية للفكر .

وصدق الله العظيم. حيث قال: « خلق الإنسان علمه البيان» .

والبيان هنا هو الاعراب عما في النفس وعما يدور في الفكر بوساطة اللغة وهذا يؤكد لنا ماسبق ذكره من العلاقة للزومية بين الفكر واللغة .

---

(1) Edward sapit ie langage. p. 24.

(٢) المرجع السابق .

التطور اللغوي

لابد أن نؤكد قبل الحديث عن التطور اللغوي عدة أمور فرغ منها علماء اللغة منذ زمن، وهي تعد عندهم الان من البديهيات .

من هذه الأمور أن اللغة كائن حي. لأنها تحيا على السنة المتكلمين بها وهم من الأحياء ،وهي لذلك تتطور وتتغير بفعل الزمن، كما يتطور الكائن الحي، ويتغير، وهي تخضع لما يخضع له الكائن الحي في نشأته ونموه وتطوره، وهي ظاهرة اجتماعية، تحيا في أحضان المجتمع ،وتستمد كيانها منه ، ومن عاداته وتقاليده ، وسلوك أفراده ، كما انها تتطور بتطور هذا المجتمع ،فترقى برقيه وتنحط بانحطاطه .

واللغة ليست من صنع فرد أو أفراد، وانما هي نتيجة حتمية للحياة في مجتمع يجد أفراده انفسهم مضطرين الى اتخاذ وسيلة معينة للتفاهم والتعبير عما يجول بالنفس، وتبادل الأفكار، تلك الوسيلة هي اللغة، قال الدكتور علي عبد الواحد وافي (١) :

(ان اللغة ، شأنها في ذلك شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى، عرضة للتطور المطرد في مختلف عناصرها : اصواتها وقواعدها ومتنها ودلالاتها وان تطورها هذا لايجري تبعاً للاهواء والمصادفات ، أو وفقا لارادة الأفراد وانما يخضع في سيره لقوانين جبرية ثابتة، مطردة النتائج ،واضحة المعالم محققة الاثار لايد لأحد على وقف عملها أوتغييرها ما تؤدي اليه. فليس في قدرة الأفراد ان يقفوا تطور لغة ما. أو يجعلوها تجمد على وضع خاص، أو يسيروا بها في سبيل غير السبيل التي رسمتها لها سنن التطور الطبيعي فمهما أجادوا في وضع معجماتها ، وتحديد الفاظها ومدلولاتها .وضبط اصواتها وقواعدها ، ومهما أجهدوا انفسهم في اتقان تعليمها للاطفال ،قراءة وكتابة ونطقاً .وفي وضع طرق ثابتة سليمة يسير عليها المعلمون بهذا الصدد ، ومهما

---

(١) اللغة والمجتمع : ٩١.

بذلوا من قوة في محاربة مايطرأ عليها ، من لحن وخطأ وتحريف ، فـانها لاتلبث ان تحطم هذه الأغلال، وتفلت من هذه القيود، وتسير في السبيل التي تريدها .

وقال ماريو باي (١):

(ان الاتجاه الطبيعي للغة، وبخاصة في صورتها الدارجة، أو المتكلمة هو اتجاه يبعدها عن المركز .. فاللغة تميل الى التغير سواء خلال الزمان أو عبر المكان، الى الحد الذي لاتوقف تياره العوامل الجاذبة نحو المركز .. هذه الخاصية العالمية هامة للغة عامة لعالم اللغة التاريخي،حيث انها تشكل الأساس في كل تغير لغوي . وهي هامة لعالم اللغة الوصفي لأنها تكون الأساس للاختلافات اللهجية أو الطبقية التي يصادفها الباحث في اللغة موضوع دراسته ووصفه وتحليله. وهي هامة لعالم اللغة الجغرافي ليس فقط بسبب أنها تعطيه صورة أقرب الى الدقة للغات العالم. وتبين له أهمية بعضها بالنسبة للبعض الاخر، ولكن أيضاً لأنها تمده بالأسس التي يبني عليها تنبؤاته فيما يتعلق بمستقبل اللغات في العالم) .

وقال أولمان (٢):

(اللغة ليست هامدة أو ساكنة. بحال من الأحوال ، بالرغم من أن تقدمها قد يبدو بطيئاً في بعض الأحايين ، فالأصوات والتراكيب ، والعناصر النحوية، وصيغ الكلمات ومعانيها .معرضة كلها للتغير والتطور ، ولكن سرعة الحركة والتغير فقط هي التي تختلف، من فترة زمنية الى أخرى ، ومن قطاع الى آخر من قطاعات اللغة. فلو قمنا بمقارنة كاملة بين فترتين متباعدتين لتكشف لنا الأمر عن اختلافات عميقة كثيرة ، من شأنها أن تعوق فهم المرحلة السابقة ،وادراكها ادراكاً تاماً) .

* * *

(١) أسس علم اللغة : ٧١-٧٢.
(٢) دور الكلمة في اللغة: ١٥٦.

والأمر الاخر الذي نريد تأكيده هنا: ان العربية الفصحى لها ظرف خاص لم يتوفر لاية لغة من لغات العالم ، ذلك أنها ارتبطت بالقرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً، ودون بها التراث العربي الأسلامي الذي كان محوره هو القرآن الكريم في كثير من مظاهره ، وقد كفل الله تعالى لها الحفظ مادام يحفظ دينه. فقال عزوجل: « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون» (١) .

ولولا ان شرفها الله تعالى فأنزل بها كتابه ،وقيض له من خلقه من يتلوه صباح مساء، ووعد بحفظه على تعاقب الأزمان، لولا كل هذا لأمست العربية الفصحى لغة أثرية ، تشبه اللاتينية أو السنسكريتية ، ولسادت اللهجات العربية المختلفة، وازدادت على مر الزمان بعدا عن الأصل الذي انسلخت منه.

هذا هو السر الذي يجعلنا لانقيس العربية الفصحى بما يحدث في اللغات الحية المعاصرة، فان اقصى عمر هذه اللغات. في شكلها الحاضر ،لايتعدى قرنين من الزمان، فهي دائمة التطور والتغير، وعرضة للتفاعل مع اللغات المجاورة، تأخذ منها وتعطي، ولاتجد في ذلك حرجاً ،لأنها لم ترتبط في فترة من فترات حياتها بكتاب مقدس ، كما هو الحال في العربية .

وارتباط العربية الفصحى بالقرآن الكريم هو السر كذلك في تمسكنا بالعربية الفصحى القديمة ودعوتنا الى دراستها دراسة مستفيضة . لكي نفهم بها القرآن الكريم. ومادار حوله من دراسات ،وكذلك الشعر العربي القديم الذي يلقي أضواء على المعاني القرآنية، ويفيد في توضيح الفاظ القرآن الكريم ولقد صدق الصحابي الجليل عبدالله بن عباس (ت ٦٨هـ) حين قال: (الشعر ديوان العرب، فاذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا الى ديوانها ،فالتمسنا معرفة ذلك منه) (٢).

---

(١) الحجر ٩

(٢) ايضاح الوقف والابتداء: ١٠٠ .

فهذه العربية الفصحى ،التي استمرت حية أربعة عشر قرناً ، والتي ستستمر في حياتها الى ماشاء الله . تستمد من ارتباطها بالقرآن الكريم عنصر الحياة.

هذا ماأردنا الأشارة اليه قبل الحديث عن التطور اللغوي(الصوتي والدلالي) لئلا يظن بعض الناس، أننا حين نعالج قضايا التطور اللغوي ، نكون من أنصار هذا التطور في العربية، فاننا نعالج هذه القضايا من الناحية الوصفية التاريخية .

كما أن استخدام اللغويين المحدثين لكلمة (التطور)لايعني تقييم هذا التطور ، والحكم عليه بالحسن أو القبح ، فانه لايعني عندهم أكثر من مرادف لكلمة (التغير) (١).

التطور الصوتي

للتطور الصوتي خواص كثيرة ، من أهمها :

١ – أنه يسير ببطء وتدرج. فاختلاف الأصوات في جيل عما كانت عليه في الجيل السابق له مباشرة لايكاد يتبينه الا الراسخون في ملاحظة هذه الشؤون. ولكنه يظهر في صورة جلية اذا وازنا بين حالتيهما في جيلين تفصلهما مئات السنين .

٢ – أنه يحدث من تلقاء نفسه بطريق آلي لادخل فيه للارادة الانسانية فتحول صوت الثاء العربية مثلا الى تاء (ثلاثة : تلاتة)، والذال الى دال (ذراع : دراع). وانقراض الأصوات التي كانت تلحق أواخر الكلمات للدلالة على أعرابها ووظائفها في الجمل، كل ذلك وما اليه قد حدث من تلقاء نفسه بطريق آلي لادخل فيه للتواضع أو ارادة المتكلمين.

٣ – أنه جبري الظواهر، لأنه يخضع في سيره لقوانين صارمة لااختيار للانسان فيها، ولايد لأحد على وقفها أو تعويقها أو تغيير ماتؤدي اليه.

---

(١) التطور اللغوي لرمضان عبد التواب: ٥–٩

٤ ـ أنه في غالب أحواله مقيد بالزمان والمكان ، فمعظم ظواهر التطور الصوتي يقتصر أثرها على بيئة معينة وعصر خاص، ولانكاد نعثر على تطور صوتي لحق جميع اللغات الانسانية في صورة واحدة .

٥ ـ أنه اذا لحق صوتاً معيناً في بيئة ماظهر أثره غالباً في جميع الكلمات المشتملة على هذا الصوت وعند جميع الأفراد الذين تكتنفهم هذه البيئة .

أما العوامل التي تؤدي الى تطور الأصوات فيرجع أهمها الى الأمور الآتية :ـ

١ ـ التطور الطبيعي لأعضاء النطق في بنيتها واستعدادها .

٢ ـ اختلاف أعضاء النطق في بنيتها واستعدادها باختلاف الشعوب .

٣ ـ الأخطاء السمعية.

٤ ـ تفاعل أصوات الكلمة بعضها مع بعض .

٥ ـ موقع الصوت في الكلمة .

٦ ـ تناوب الأصوات وحلول بعضها محل بعض .

٧ ـ أثر الأمور النفسية والاجتماعية والجغرافية.

٨ ـ أثر العوامل الأدبية (*).

(*) علم اللغة لعلي عبد الواحد وافي : ٢٨٥ـ ٢٨٩.

التطور الدلالي

للتطور الدلالي بمختلف أنواعه خواص كثيرة تشبه في جملتها خواص التطور الصوتي التي سلف ذكرها. ومن أهم هذه الخواص :

١ ــ أنه يسير ببطء وتدرج. فتغير مدلول الكلمة مثلا لايتم بشكل فجائي سريع، بل يستغرق وقتاً طويلا ويحدث عادة في صورة تدريجية. فينتقل الى معنى آخر قريب منه، وهذا الى ثالث متصل به ..وهكذا .

٢ ــ أنه يحدث من تلقاء نفسه بطريق آلي لادخل فيه للارادة الانسانية ، فسقوط علامات الاعراب في اللهجات العربية الحاضرة ، وتغيير اوزان الأفعال ، وتأنيث بعض الكلمات المذكرة ، وتذكير بعض الكلمات المؤنثة، وجمع صفة المثنى. وتأخر الاشارة عن المشار اليه، وتزحزح كثير من المفردات عن مدلولاتها الأولى الى معان جديدة كل ذلك وما اليه قد حدث من تلقاء نفسه في صورة آلية لادخل فيها للتواضع أو ارادة المتكلمين .

٣ ــ أنه جبري الظواهر، لأنه يخضع في سيره لقوانين صارمة لايد لأحد على وقفها أو تعويقها، أو تغيير ماتؤدي اليه.

٤ ــ أن الحالة التي تنتقل اليها الدلالة ترتبط غالباً بالحالة التي انتقلت منها باحدى العلاقتين اللتين يعتمد عليهما تداعي المعاني، ونعني بهما علاقتي المجاورة والمشابهة.

٥ ــ أن التطور الدلالي في غالب أحواله مقيد بالزمان والمكان. فمعظم ظواهره يقتصر أثرها على بيئة معينة وعصر خاص. ولانكاد نعثر على تطور دلالي لحق جميع اللغات الانسانية في صورة واحدة ووقت واحد.

٦ ــ أنه اذا حدث في بيئة ماظهر أثره عند جميع الأفراد الذين تشملهم هذه البيئة . فسقوط علامات الاعراب في لغة المحادثة المصرية مثلا لم يفلت من أثره أي فرد من المصريين .

أما العوامل التي تؤدي الى التطور الدلالي فكثيرة، من أهمها :

١ ــ عوامل تتعلق باستخدام الكلمات فمدلول الكلمة يتغير للحالات التي يكثر فيها استخدامها .

٢ ــ عوامل تتعلق بمبلغ وضوح الكلمة في الذهن، فكلما كان مدلول الكلمة واضحاً في الأذهان قل تعرضه للتغير، وكلما كان مبهماً غامضاً مرناً كثر تقلبه وضعفت مقاومته لعوامل الانحراف .

٣ ــ عوامل تتعلق بأصوات الكلمة. فثبات أصوات الكلمة يساعد على ثبات معناها، وتغيرها يذلل أحياناً السبيل الى تغيره .

٤ ــ عوامل تتعلق بالقواعد. فقد تذلل قواعد اللغة نفسها السبيل الى تغير مدلول الكلمة، وتساعد على توجيهه وجهة خاصة.

٥ ــ عوامل تتعلق بانتقال اللغة من السلف الى الخلف. فكثيراً ما ينجم عن هذا الانتقال تغير في معاني المفردات. وذلك ان الجيل اللاحق لايفهم جميع الكلمات على الوجه الذي يفهمها عليه الجيل السابق .

٦ ــ وكثيراً مايتغير مدلول الكلمة على أثر انتقالها من لغة الى لغة.

٧ ــ وقد يكون العامل في تغير معنى الكلمة ان الشيء نفسه الذي تدل عليه قد تغيرت طبيعته أو عناصره أو وظائفه أو الشؤون الاجتماعية المتصلة به، كالقطار والبريد وغيرهما .

٨ ــ عوامل تتعلق باختلاف الطبقات والجماعات . فكثيراً ماينجم عن اختلاف الناس في طبقاتهم وفئاتهم اختلاف مدلول الكلمات وخروجها عن معانيها الأولى (*).

(*) علم اللغة لعلي عبد الواحد وافي : ٢١٦- ٢٢٥.
وينظر في التطور الصوتي والدلالي في اللغة :
ــ التطور اللغوي لرمضان عبد التواب.
ــ عوامل التطور اللغوي لأحمد عبد الرحمن حماد .
ــ اللغة والتطور لعبد الرحمن أيوب .

اللغة والكتابة

الرموز اللغوية : Linguistic Symbils رموز صوتية ومعنى هذا أن طبيعة اللغة تتخذ في المقام الأول صورة صوتية منطوقة مسموعة . فالكتابة في أحسن أحوالها محاولة للتعبير عن اللغة في واقعها الصوتي ،وهذه المحاولة دقيقة أحياناً وغير دقيقة في أكثر الأحيان. والكتابة محاولة لنقل الظاهرة الصوتية السمعية الى ظاهرة كتابية مرئية، فاللغة تسمع بالأذن والكتابة ترى بالعين .الكتابة محاولة لترجمة الظاهرة الصوتية السمعية الى ظاهرة كتابية مرئية، والكتابة محاولة لنقل اللغة من بعدها الزمني الى البعد المكاني ، فالظواهر الصوتية تتتابع في الزمن والحروف المكتوبة تتتابع في المكان . واذا كانت اللغة في المقام الأول ظاهرة صوتية فمن الطبيعي أن يقوم البحث اللغوي بدراسة اللغة في صورتها الصوتية .

وعلينا أن نميز دائماً بين الطبيعة الصوتية للغة وكيفية تدوين هذه اللغة ، فالخط العربي شيء واللغة العربية شيء آخر. الخط العربي ذو امكانيات معينة يحاول بها التعبير عن الواقع الصوتي. ويدون الخط العربي الأصوات الصامتة مثل الباء والسين والصاد ....الخ والحركات الطويلة وهي : الضمة الطويلة والفتحة الطويلة والكسرة الطويلة بحروف الكتابة العربية . الخط يتعامل بالحروف، وعلم اللغة يتعامل بالأصوات. يحاول الخط العربي بشكل ما تدوين أصوات اللغة العربية الا ان الحركات القصيرة وهي الضمة والفتحة والكسرة ليست لها حروف في الخط العربي. ولذا فكتابتها أمر اختياري . ولكن الحركات القصيرة– شأنها شأن الحركات الطويلة والصوامت – عناصر أساسية في تكوين النظام اللغوي للعربية وكل اللغات. يؤدي تغيير الحركات الى تغيير المعنى فالفرق بين « ضرب» المبني للمعلوم «وضرب » المبني للمجهول فرق في الحركات أدى الى تحول في الصيغة وتغير في المعنى .

وثمة فرق أساسي بين مجموع الحروف ومجموع الأصوات في أنماط كثيرة من الكلمات العربية فالفعل الماضي: كتبوا، سافروا... الخ ينتهي بألف ليست لها أية دلالة صوتية. وعلى العكس من هذه الظاهرة نجد الحروف التي تكتب بها كلمات كثيرة أقل عدداً من الأصوات المكونة لها، وبعض الحركات الطويلة لاتكتب في بعض الكلمات، مثل : هذا، هذه ...الخ. وثمة فرق آخر بين الحروف والأصوات، ويتضح هذا الفرق بأن نلاحظ أن حرف الواو في الخط العربي يرمز الى ظاهرتين صوتيتين مختلفتين في اللغة العربية، فالواو ترمز في تدوين الكلمات: ورد، ولد الى صوت صامت في العربية، بينما ترمز الواو نفسها في تدوين الكلمات خلود، سرور، شهود، الى حركة طويلة في اللغة العربية. وكذلك حرف الياء في الخط العربي، فهو يرمز تارة الى صوت صامت في الكلمات: يكتب يلعب، وتارة أخرى الى حركة طويلة في الكلمات : في ،لي. ولهذا كله لايجوز في بحث اللغة العربية— أو أية لغة أخرى — ان نتعامل بالحروف المكتوبة، بل علينا ان ندرس الأصوات اللغوية المكونة لهذه اللغة، محاولين في كل حالة ان نتبين الواقع الصوتي للغة مراعين مدى الاختلاف بين اللغة باعتبارها ظاهرة صوتية وكيفية تدوينها بالحروف (*).

ولابد من الاشارة الى ان هناك خلطاً غير يسير يقع فيه كثيرون لايميزون بين الأصوات والكتابة او بمعنى آخر بين اللغة في صورتها المسموعة واللغة وقد كتبت بحروف، ويعتقد كثيرون ان الكتابة بصفة عامة صورة صادقة للغة المنطوقة. وفي هذا نظر فان اللغة ظاهرة صوتية، أي انها رموز صوتية منطوقة يتعامل بها الانسان. وقد تعامل الأنسان باللغة آلاف السنين قبل أن يكتبها. والمحاولة الأولى بدأت لتدوين هذه اللغة المنطوقة المسموعة لتصبح شيئاً مقروءاً.

(*) علم اللغة العربية لمحمود فهمي حجازي: ١١– ١٣

فاللغة تقوم أساساً على الصوت، والكتابة ظاهرة حضارية لها أهميتها وينبغي ألا تختلط بظاهرة أخرى، وهي اللغة .

الكتابة اذن في افضل صورها للتعبير عن اللغة المنطوقة .

والكتابة بعد من أهم الاختراعات التي قام بها الانسان. قال الدكتور حسن ظاظا (١):

الكتابة من اهم الاختراعات التي قام بها الانسان وهي عبارة عن تحويل الرموز المسموعة في الأذن الى رموز مرئية بالعين ، وقد مرّ هذا الاختراع بمراحل وخطوات كثيرة في سبيل تيسيره وتحسينه وهذه المراحل تتلخص في ثلاث :

أ — الكتابة التصويرية.

وهي اقدم طرق التعبير البصري عن الكلام المسموع — وفيها يكتفي الكاتب برسم مدلول الكلمات الواحدة تلو الأخرى ، فالرجل يعبر عنه بصورة رجل والتضرع يعبر عنه بصورة يد ترتفع وتتقدم الى الأمام ، والأكل يعبر عنه بيد تمتد الى الفم ، والماء يرمز اليه بأمواج متتابعة وهكذا ، وهذه الكتابة هي التي تسمى بالكتابة الهيروغليفية عند المصريين الفراعنة ، والحيثيين في آسيا الصغرى ، و الشوميريين في بداية تاريخهم ، وهي كتابة تطورت نحو تبسيط الصور وتوحيدها وزودت باشارات بصرية لإضافة مزيد من تحديد المعنى . وكثير من هذه الإشارات وظيفته نحوية صرفة ولايقرأ أو ينطق ، كالاشارات التي تبين المذكر من المؤنث ، والمفرد من الجمع ، والتي تميز الآلهة من البشر نحو ذلك .

ب — الكتابة المقطعية

وهي خطوة متقدمة في الحضارة بالنسبة لسابقتها. اذ فيها اكتشف الأنسان

(١) اللسان والأنسان: ١٣٨-١٤١

أن الألفاظ التي ينطقها تتكون من مقاطع ، هي وحدات صوتية صغيرة تسيطر عليها حركة واحدة ، فكلمة مقعد تتكون من مقطعين : مق + عد ، فيضع الكاتب لكل من هذين المقطعين علامة اصطلاحية يستعملها في جميع الكلمات التي يرد فيها نفس المقطع ، فالاشارة الدالة على المقطع (مق) يكتب بها في كلمة مَقْدِس ، مقبرة ، مَقْطَع ، احمق ، أعمق ... الخ ومن أشهر الكتابات المقطعية القديمة الخط المسماري ، الذي كان يستعمل هذه الاشارات المقطعية منقوشة على الواح من الطين في العراق وايران وغيرهما من بلدان الشرق الأوسط القديمة ، ومن الكتابات المقطعية التي ماتزال حية مستعملة الكتابة الصينية ، أما الكتابة الحبشية فهي مقطعية متقدمة نحو الأبجدية.

جـ ـ الكتابة الأبجدية:

تدرج الفكر التحليلي للانسان من الكلمة برمتها ، في الكتابة التصويرية الى المقطع الذي هو وحدة صوتية مستقلة في داخل الألفاظ ، في الكتابة المقطعية ، الى ان وصل الى التمييز بين الحروف والحركات ، وبدأ يراقب جهازه الصوتي وعدد مايخرجه من انواع الحروف بصرف النظر عن الحركات ، فعرف ان لغته تقوم على عدد قليل نسبيا من الحروف الساكنة ، فأراد ان يسجلها .

وانبثقت الفكرة في اكثر من مكان في آن واحد ، اكتشفها الكنعانيون في « رأس الشمرة» ، بالقرب من اللاذقية في سوريا ، فاستعاروا الكتابة المسمارية وطوروها وطوعوها لنظام ابجدي دقيق ، كذلك حاول المصريون ان يصلوا بكتابتهم الى المرحلة الأبجدية ، ولكن كانت الكتابة بعدُ بحاجة الى تفكير جديد فالطريقة الكنعانية المتطورة عن المسمارية الى الرسم الأبجدي كانت ماتزال تعتمد على نقش العلامات على الواح الطين ، وهي طريقة غير عملية ، لثقل حمل النصوص المكتوبة ، ولخطر تعرضها للرطوبة الذي لايؤمن منه الاباحراقها وتحويلها الى فخار وهو عمل كثير المشقة والتكاليف ، ويحتاج

الى وقت طويل . اما الطريقة المصرية فكانت طريقة ارستقراطية تحتاج الى كاتب فنان والى انواع من ريشة الكتابة دقيقة الصنع ، والى ورق خاص وانواع معينة من الأحبار والأصباغ .

وفي هذا الوقت كان الفينيقيون في لبنان قوماً من البحارة محتاجين الى كتابة عملية وسريعة ، ليس فيها ثقل الواح الطين وخطورة تعرضها لماء البحر فوق السفن ، وليس فيها كل التأنق الذي يحتاج اليه الكاتب المصري الفرعوني ربيب الكهنة وخادم الملوك والآلهة . وهكذا التقط اولئك الفينيقيون في لبنان فكرة الأبجدية وحاولوا ان يصلوا بها الى مزيد من التيسير ، فكان من أوائل الأبجديات التي ظهرت في هذه المنطقة الأبجدية « شبه التصويرية » في مدينة جبيل الى الشمال من بيروت ، ثم ظهرت جنوبي بيروت في منطقة صور ابجدية نهائية فرضت نفسها على اكثر بقاع العالم المتحضر ، فأخذها اليونان ، ومنهم انتشرت في جميع انحاء اوروبا ، واخذها الآراميون فنشروها في جميع انحاء آسيا حتى حدود الصين ، وتلقاها العبريون ، والمؤابيون ، والسريان ، والنبط ، والعرب ومعهم انتشرت في جزء كبير جدا من افريقيا وجزائر المحيط الهندي ، وتعرضت الكتابة الأبجدية لتحسينات بحسب طبيعة اللغات التي استعملتها ؛ فالأوربيون جعلوا حركات الضبط من صميم الأبجدية ، بينما جعلها العرب والعبريون والسريان زوائد وعلامات ، توضع فوق الحروف اوتحتها ، وهو اكثر ملاءمة لطبيعة لغاتهم .

وكان اختراع الكتابة سببا في ظهور اتجاهات لغوية جديدة لم تكن معروفة قبل ان يتعلم الأنسان تخليد افكاره وتثبيتها في وثائق مكتوبة ، فمع الكتابة ظهر الحرص على سلامة التركيب ووضوح الدلالة واحسان التنسيق والتقسيم ، والعمل على تنقية التعبير من الحشو والفضول وتصفيته من الشوائب — اذ أخذ الأنسان بالقلم وشرع يكتب احس بان الكلام لم يعد طائراً في الهواء ، بل هو باق محفوظ ، وكاتبه مسؤول عنه طول حياته بل بعد مماته ، وهو بهذا ،

تحت عامل نفسائي بحت ، يسعى الى ألايثبت بالقلم الا مايشرفه ويكـون وسيلة لانتزاع حكيم طيب عليه من القارىء .

وبالاختصار فان اللغات المكتوبة تكاد تكون مرادفة للغات الأدبية ، او لغات الثقافة، ويقابل ذلك في اقصى الطرف الثاني اللغات الدارجة اوالعامية. وهناك سبب آخر في وجود فرق كبير بين اللغات المكتوبة والدارجة ، ففي الأخيرة يستعين المتكلم بالحركات والأشارات والنبرات الصوتية على اكمال دلالاته المنطوقة وتحديدها وتوضيحها ، أما الكاتب فهو لايملك كل هذه المؤثرات التكميلية ، ولذا فهو يتوخى أن يكون مايشبه بالكتابة مستغنيا عـن كل هذه المؤثرات ، وبهذا يتفاضل الكتاب ، ويعلو أسلوب على أسلوب .

ثبت المصادر والمراجع

- أسرار العربية : أبوالبركات الأنباري ، تح محمد بهجة البيطار ، دمشق ١٩٥٧ .
- أسس علم اللغة: ماريوباي، ترجمة د.أحمد مختار عمر ، طرابلس ، ١٩٧٣ .
- الأصوات اللغوية: د. ابراهيم أنيس ، القاهرة ١٩٧١ .
- الأضداد في اللغة : محمد حسين آل ياسين ، بغداد ١٩٧٤ .
- ايضاح الوقف والابتداء: أبوبكر بن الأنباري ، تح محيي الدين رمضان دمشق ١٩٧١ .
- التطور اللغوي (مظاهره وعلله وقوانينه) : د. رمضان عبدالتواب ، القاهرة .
- التعريفات : السيد الشريف الجرجاني ، مصر ١٩٣٨ .
- الخصائص : ابن جني ، تح محمد علي النجار ،القاهرة ١٩٥٢ ـ ١٩٥٦ .
- دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن : د. صلاح الدين صالح حسنين ، الرياض ١٩٨٤ .
- الدراسات اللغوية عند العرب : د. محمد حسين آل ياسين، بيروت ١٩٨٠
- دلالة الألفاظ : د.ابراهيم أنيس ، القاهرة ١٩٦٣ .
- الدلالة اللغوية عند العرب : د. عبدالكريم مجاهد ، الأردن .
- دور الكلمة في اللغة : أولمان، ترجمة د. كمال بشر ، القاهرة ١٩٦٢.
- رسالة مناقب الترك (رسائل الجاحظ ج٣) : تح عبدالسلام هارون ،القاهرة ١٩٧٩ .
- سر صناعة الأعراب :ابن جني ، تح د. حسن هنداوي ، دمشق ١٩٨٥.
- شرح الشافية : الرضي الأسترابادي ، تح محمد نور الحسن وآخرين ، ١٩٥٦ .

ـ شرح المفصل : ابن يعيش ، الطباعة المنيرية بمصر .
ـ الشفاء (العبارة) ؛ ابن سينا ، تح محمود الخضيري ، القاهرة ١٩٧٠.
ـ الصاحبي : احمد بن فارس ، تح السيد احمد صقر ، القاهرة .
ـ العلاقة بين اللغة والفكر : د. أحمد عبدالرحمن حماد ، الأسكندرية ١٩٨٥.
ـ علم الدلالة :د. أحمد مختار عمر ، الكويت ١٩٨٢ .
ـ علم الدلالة العربي : د. فايز الداية ، دمشق ١٩٨٥ .
ـ علم اللغة :د.علي عبدالواحد وافي ، ط٧ ، القاهرة .
ـ علم اللغة (مقدمة للقارىء العربي) : د. محمود السعران ، القاهرة ١٩٦٢.
ـ علم اللغة بين التراث والمعاصرة : د. عاطف مدكور ، القاهرة ١٩٨٧.
ـ علم اللغة العام : د. توفيق محمد شاهين ، القاهرة ١٩٨٠ .
ـ علم اللغة العربية : د. محمود فهمي حجازي ، الكويت ١٩٧٣ .
ـ علم اللغة النفسي : د. عبدالمجيد سيد احمد منصور ، الرياض ١٩٨٢.
ـ عوامل التطور اللغوي : د. احمد عبدالرحمن حماد ، بيروت ١٩٨٣ .
ـ العين : الخليل بن احمد ، تح د. مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي منشورات وزارة الثقافة والأعلام ، بغداد .
ـ في علم اللغة العام : د. عبدالصبور شاهين ، بيروت ١٩٨٠ .
ـ اللسان والأنسان : د. حسن ظاظا ، القاهرة ١٩٧١ .
ـ لغات البشر : ماريوباي ، ترجمة د. صلاح العربي ، القاهرة ١٩٧٠ .
ـ اللغة : فندريس ،ترجمة عبدالحميد الدواخلي ود. محمد القصاص ،القاهرة ١٩٥٠ .
ـ اللغة والمجتمع : د. علي عبدالواحد وافي ، القاهرة ١٩٤٦ .
ـ اللغة والمجتمع : د. محمود السعران ، القاهرة ١٩٦٣ .
ـ محاضرات في علم النفس اللغوي ، د. حنفي بن عيسى ،الجزائر ١٩٨٠ .
ـ المدخل الى علم اللغة :د. رمضان عبدالتواب ، القاهرة ١٩٨٢ .

- مدخل الى علم اللغة :د. محمد حسن عبدالعزيز ، القاهرة ، ١٩٨٣ .
- مدخل الى علم اللغة : د . محمود فهمي حجازي ، القاهرة ١٩٧٨ .
- مدخل الى اللسانيات : رونالدايلوار ، ترجمة بدرالدين القاسم ، دمشق ١٩٨٠ .
- المشترك اللفظي : د. توفيق محمد شاهين ، القاهرة ١٩٨٠ .
- معجم المعاجم : أحمد الشرقاوي اقبال ، بيروت ١٩٨٧ .
- معيار العلم : أبوحامد الغزالي ، تح د. سليمان دنيا ، مصر ١٩٦٩ .
- منشور الفوائد : أبو البركات الأنباري : تح د. حاتم صالح الضامن ، بيروت ١٩٨٣ .
- النكت الحسان في شرح غاية الاحسان : أبوحيان النحوي ، تح د.عبد الحسين الفتلي ، بيروت ١٩٨٥ .

محتويات الكتاب